الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجيلالي بونعامة-خميس مليانة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية-شعبة التاريخ

العلاقات الجزائرية ـ المغربية

(905 - 1194ه/ 1500 - 1780م)

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر

تخصص: حديث ومعاصر.

إعداد الطالب:

أحمد شربيتي.

إشراف الأستاذ:

مراد قبال.

السنة الجامعيـــــــــــــــة:

2016/2015

شكر

الحمد لله رب العالمين الميسر والمسهل لكل أمر، ربنا أوزعنا أن نشكر نعمتك التي أنعمت بها علينا لأن وفقتنا لعملنا هذا وجعلت صعبه هينا وزدته يسرا لمّا كان سهلا.

أمرتنا بشكر والإحسان لأولي الفضل والحكمة من عبادك، فمن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا و الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

لذا نتوجه إلى كل من دفع بهذا العمل خطوة إلى الأمام بالشكر وأسمى معاني التقدير، وخاصة الوالدين لما لهم من فضل بعد الله وخير عميم و العائلة الصغيرة والكبيرة، والأحبة من جيراني وأولهم عمي الطاهر، وإلى كل أساتذتي الذين رافقوني طوال مساري الدراسي ومن ضمنهم الإمام" محمد شهلول" الذي علمنا معنى المثابرة والجد في طلب العلم.

كما أخص بالشكر الجزيل لأستاذي المشرف " **مراد قبال**" الذي منحني كنوز من النصائح وشملني بتوجيهاته وأشكر له تشجيعه وصبره عليّ إلى تمام هذا العمل المتواضع، وإلى أساتذتنا الجامعيين بن يغزر و بلعريبي وعالم، وإلى إدارة قسم العلوم الإنسانية تخصص تاريخ، وأتشكر لعمال الجامعة جهدهم وتفانيهم في أداء عملهم.

إهداء

إلى من قد بدا عليّ فضله وأسدل عليّ حرصه عزيزٌ عليّ ذكره

لا تفيني معلقات في شكره كشمعة يحترق لأستضيء بنوره

أهدي عملي هذا خالصا للعائلة و للوالدين العزيزين جزاهم عني ربي خير الجزاء وأصبغ عليهم نعمه بطول العمر في الخير والعطاء.

إلى كل مسلم حريص على العلم والاعتبار بالعبر

إلى أصدقائي كافة عليّ وعبد الرزاق و إسلام وعمر وأحمد

إلى كل زملاء الدراسة ومن يكن لي الاحترام و التقدير

الطالب: أحمد بن محمد شربيتي

الاختصارات الواردة في الدراسة الخاصة بالإحالة:

الرمز	الدلالة	الرمز	الدلالة
ص	الصفحة	P	Page
ص ص	تعدد الصفحات	T	tome
ج	الجزء	éd	Edition
مج	مجلد	Op.cit	المرجع Opéro citato أو المصدر السابق
تح	تحقيق	éditeur	الناشر
تع	تعليق	Ibid.	نفس المرجع أو نفس المصدر أو نفس المكان
تر	ترجمة	id ou idem	نفسه
تق	تقديم	Loc.cit	المكان السابق
إلخ	إلى آخره	د م	دون مكان نشر
ه	هجري	د س/د ت	دون سنة نشر
م	ميلادي	د.د.ن	دون دار نشر
"..."	الاقتباس الحرفي	ط	طبعة
		د ط	دون طبعة

مقدمة

مقدمة

للمغرب العربي صفات مشتركة ومقومات متشابهة وتاريخ مشترك يجعله امتدادا واحدا عبر العصور، فالعلاقات الجزائرية المغربية راسخة بتجدر الوجود الإسلامي في المنطقة، فقد تعاقبت على القطرين عدة دول تركت بصمتها في العلاقات السياسية، من ضمنها الدولتان الزيانية والمرينية.

مع مطلع القرن السادس عشر ميلادي بدأت هذه الدول في الإنهيار، حلت محلها إيالة عثمانية موحدة مقرها الجزائر سنة1520 م في المغرب الأوسط في العهد العثماني و الدولة السعدية في المغرب الأقصى، فترنحت العلاقات بين الحسنة والسيئة وبين تقديم المصلحة العامة للقطرين على حساب الصراعات والمصالح الشخصية، فظهرت معالم علاقات جديدة في إطار تصفية الإستعمار الأوروبي ثم تحولت إلى التنافس لتحقيق الأطماع التوسعية من طرف سلاطين المغرب والتي اصطدمت في الغالب بالقوات الجزائرية التي وقفت موقف الدفاع عن أراضيها، كما لم تتوان في مد يد العون للقوى المغربية في إطار الجهاد.

دوافع اختيار الموضوع:

نظرا لأهمية العلاقات المغربية، فقد رأيت من الضروري تسليط اهتمامي على هذا الموضوع والتطرق إليه في مذكرة تحت عنوان : العلاقات الجزائرية المغربية (1500م-1780م).

كما أن هنالك أسباب أخرى دفعتني لاختيار الموضوع منها:

- البحث عن جذور هذه العلاقات للوقوف على أسباب التوتر و انعكاساته على المجتمعين.
- إثراء الموضوع قصد تسليط الضوء عليه.

- حساسية الموضوع و علاقته بالفترة المعاصرة.

الإطار الزماني والمكاني للدراسة:

أما عن الإطار الزماني للبحث، فقد حددته (1500-1780م) بداية من القرن الجديد الذي مثل بداية التحول السياسي في المغربين إلى نهايات القرن الثامن عشر ميلادي الذي يعتبر منعرج جديد في تحول العلاقات واستقرارها.

إشكالية البحث:

الإشكالية الرئيسية:

ينطلق موضوع الدراسة من سؤالين مهمين واللذان يقوم عليهما البحث:

- فيما تجسدت العلاقات الجزائرية المغربية؟ وما هي أبرز جوانبها ؟

التساؤلات الفرعية:

- كيف كان الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي للبلدين مع مطلع القرن 16م؟ و ما السمة الغالبة في علاقات البلدين من الناحية السياسية؟ وما مدى ترابط العلاقات التجارية بين البلدين؟ وما مظاهر العلاقات الاجتماعي بين البلدين؟ و إلى أي حد وصل التبادل الفكري بين البلدين؟ .

الخطة المعتمدة في الدراسة:

اعتمدت في موضوعي على خطة اشتملت على ثلاث فصول:

حاولت في الفصل الأول بعنوان أوضاع المغربين(الأوسط و الأقصى) خلال القرن 16م وهو بمثابة فصل تمهيدي، قدمت فيه نظرة تاريخية عن الأوضاع في المغربين من الناحية السياسية والاجتماعية والثقافية.

أما **الفصل الثاني:** فقد خصصته للعلاقات السياسية والاقتصادية متناولا في الجانب السياسي العلاقات الجزائرية مع الوطاسيين والسعديين والعلويين، وفي الجانب الاقتصادي العلاقات التجارية والحرف والصناعات.

أما **الفصل الثالث:** تطرقت إلى دراسة الجانب الاجتماعي والثقافي وقد خصصت من المبحث الثالث جانبا للحديث حول بعض الروابط الاجتماعية بين البلدين وأما المبحث الثاني فتطرقت إلى الجانب الثقافي وفيه هجرة العلماء الجزائريين إلى المغرب والحركة العلمية بين البلدين.

ختمت المذكرة بخاتمة ضمنتها أبرز النتائج التي توصلت إليها في البحث، وأتبعت الخاتمة بملاحق خاصة، تضمنت خرائط ثم قائمة مفصلة شملت المصادر والمراجع.

الدراسات السابقة:

العلاقات بين الجزائر والمغرب عريقة حدثت فيها عدة وقائع معلميه أثرت بشكل مباشر في العلاقات بين البلدين، فتطرقت العديد من المصادر والمراجع لهذا الموضوع ، مذكرة مذكرة العلاقات بين الجزائر والمغرب للأستاذ عمار بن خروف، وقد اعتمدت على مجموعة من المراجع ككتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى وكتاب مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا لأبي فارس عبد العزيز الفشتالي، وكتاب تاريخ الدولة التكمدارتية لمؤلف مجهول وكتاب النزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي للأفرني.

تجب الإشارة إلى أن هذه الدراسة ذات أهمية، فقد ركزت على دراسة العلاقات في شتى المجالات، ومع وفرت المادة العلمية، جعلتني أجد معلومات هامة في التاريخ المشترك بين البلدين في الفترة المدروسة.

المنهج المتبع في الدراسة:

اتبعت في هذه الدراسة المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي في بعض المواضع من البحث فاستعنت بالأول لتتبع الوقائع التاريخية والأوضاع التي سبقته، ولجأت إلى المنهج الثاني(التحليلي) لتحليل أبعاد الوقائع التاريخية، قصد الوصول إلى أهداف البحث المسطرة.

نقد المصادر والمراجع الخاصة بالدراسة:

نجد في موضوع العلاقات الجزائرية المغربية مشتتا في العديد من المصادر و المراجع مما يستوجب منّي جمع المادة، فنجدها في كتب السير والتراجم الخاصة بالحكام وحتى الأعلام، كما نجدها في الكتب المتعلقة بالعصر الوطاسي والسعدي و العلوي في المغرب والعهد الزياني والعثماني في الجزائر، بالإضافة إلى مجموعة من الكتابات الغربية حول تاريخ الجزائر والمغرب.

يوجد العديد من الأحداث التي وقعت في سياق موضوعنا تحدثت عنها المصادر كالصراعات العسكرية للمغرب مع الإيالة العثمانية وحتى في الحديث عن الشؤون الداخلية للبلدين، وتوجب جمع المادة التاريخية من مجموعة من المصادر والمراجع المترامية والبحث في أعماق المصادر العربية واعتمدت على الكتب المعاصرة، كالكتب التي أرخت للدولة السعدية وذكرت محاسنها وأهملت عيوبها عن قصد، ولم أغفل عن الكتب التي تطرقت إلى السلبيات والايجابيات على سبيل الموضوعية وذكرت جزء من العلاقات وأوجه التلاقي بين البلدين بصفة حيادية.

المصادر و المراجع العربية و المعربة:

أ. المصادر المعربة:

- **وصف إفريقيا:** للحسن بن محمد الوزان، ولد في غرناطة في نهاية القرن الخامس عشر ميلادي في الفترة الممتدة مابين 894ه/1489م و 900ه/1495م، يعتبر كتاب وصف إفريقيا الذي عربه عبد الرحمان حميدة مصدر مهم تاريخي وجغرافي قيم في ذكر أحداث القرن العاشر هجري/السادس عشر ميلادي، إذ يسلط الضوء على حلقات مهمة من تاريخ إفريقيا و المغرب العربي في فترة مهمة كان يعيش فيها في انحطاط وتفكك، فلا يمكن الاستغناء عنه في رسم صورة واضحة عن الأوضاع العامة للمغربين، فهذا المصدر أساسي في بحوث تاريخ المغرب الحديث.

- **إفريقيا:** للويس كربخال مارمول، نقله إلى العربية محمد حجي وآخرون، كان مارمول أسيرا إسبانيا في خدمة السعديين، أورد معلومات قيمة في الميدان السياسي، فقد عاش في وسط المجتمع المغربي وأورد معلومات عن الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية ونقل عن الوزان بعض المعلومات التي لم يشهدها وقد استفدت منه في دراسة الجانب الاجتماعي والثقافي في بداية القرن السادس عشر ميلادي.

ب. المصادر بالعربية:

- **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا:** لأبي فارس عبد العزيز الفشتالي، عاصر أحمد المنصور ووضع كتابه وفق تعليماته، فلم يتطرق إلى السلبيات في البلاط السعدي.

- **تاريخ الدولة السعدية التاكمدارتية:** لمؤلف مجهول و الذي يكون مكناسي الأصل نشره جورج كولان سنة 1934م وقدمه وحققه عبد الرحيم بنحادة سنة 1994م، فنجد بهذا الكتاب تفاصيل دقيقة عن السعديين ونهاية حكم الوطاسيين واتصال العثمانيين في الجزائر بالسعديين.

- **دوحة الناشر:** للمؤلف محمد بن عسكر الشفشاوني، ولد بمدينة شفشاون عام 936ه/1529م وتوفي سنة 986ه/1578م لقي العديد من العلماء وأخذ عنهم كما احتك ببلاط السعديين، ذكر في كتابه العديد من العلماء وشيوخهم من الجزائريين والمغاربة، فهو مصدر مهم في الجانب الثقافي.

ج. المراجع العربية:

- **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي:** لعبد الله محمد بن أحمد الأفرني الملقب بالصغير ،مؤرخ مغربي من مصنفي التراجم، ولد بمراكش نحو 1669م، وتوفي نحو 1744م، أشتهر بتأريخه للدولة السعدية في المغرب وذكر بعض أوجه العلاقات السعدية الجزائرية،صحح هذا الكتاب هوداس وترجمه إلى الفرنسية ونشره سنة 1889م، تحت عنوان نزهة الحادي تاريخ السعديين في المغرب سنة 1511م إلى 1670م.

- **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى:** للناصري وهو قبل كل شيء تجميع لمختلف الروايات التاريخية في أحداث المغرب، ويتألف من تسعة أجزاء وقد اعتمدت في دراستي على ثلاثة أجزاء، جزء الوطاسيين والسعديين والعلويين.

- **التاريخ الدبلوماسي للمغرب:** لعبد الهادي التازي في عشر مجلدات، وقد اقتصرت على المجلد السابع المخصص للوطاسيين و المجلد الثامن للسعديين و التاسع للعلويين ، فقد تطرق إلى سياستهم الخارجية ومن ضمنها اتجاه الجزائر وقد استقيت منه معلومات مفيدة ومميزة.

د. المصادر الأجنبية:

Diego de haédo, Histoire des rois d’ alger, Tr : De grammont

للاسباني دييغو هايدو الذي ولد في وادي كارانسا في جبال البرانس وتوفي في بداية القرن 17م، كان قسيسا أسيرا في الجزائر سنة 1578م، عاش مدة من الزمن في الجزائر ألف

خلالها العديد من المؤلفات كتاريخ ملوك الجزائر الذي ذكر فيه أحداث تاريخية في عهد الباشاوات وكتاب طبوغرافيا مدينة الجزائر، إذ يعد هذان المصدرين مهمين في تاريخ الجزائر، وقد اعتمدت عليهما منتهجا التمحيص لتجنب المبالغات علما أن هذا المؤلف كان ينقل بعض الأخبار كما وردت.

الصعوبات المعترضة:

من بين الصعوبات التي وقفت أمامي عائقا هو ندرة بعض المصادر وبعضها لا يمكن الاعتماد عليها نظرا لصعوبة الاطلاع عليها.

كما تعذر علي الاستفادة من المؤلفات المكتوبة باللغة الاسبانية فاكتفيت ببعض المصادر التي عثرت عليها مترجمة إلى اللغة الفرنسية.

من الصعوبات الأخرى ضيق المدة الزمنية لإنجاز هذه المذكرة .

في الأخير أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدني وحفزني على إنجاز هذا العمل المتواضع وأخص بالشكر أستاذي المشرف **قبال مراد** الذي كان صبورا معي لإتمام هذه المذكرة وقد شملني بالتوجيهات والإرشادات، كما أتقدم بالشكر الخالص لجميع أساتذتي على مستوى الجامعة بأن منحوني من وقتهم للرد على الاستفسارات، فجزاهم الله عني خير الجزاء وسددني وإياهم لما فيه الخير.

وأخيرا أضع جهدي بين أيديكم إن أصبت فمن الله فهو الموفق لما أراد وإن كان غير ذلك فحسبي أني لم أدخر جهدا، وأملي أن أستزيد من تعليمات وتوجيهات أساتذتنا الفضلاء أثناء المناقشة و التصحيح والله المستعان به فهو نعم المعين.

الطالب: أحمد شربيتي.

الفصل الأول:

أوضاع المغربين (الأوسط والأقصى) خلال القرن 16م.

المبحث الأول: الوضع السياسي في المغربين.

المطلب الأول: الفوضى السياسية في المغرب الأوسط.

المطلب الثاني: النجدة العثمانية بالمغرب الأوسط.

المطلب الثالث: الصراع السياسي في المغرب الأقصى.

المبحث الثاني: الوضع الاقتصادي و الاجتماعي والثقافي.

المطلب الأول: الوضع الاقتصادي.

المطلب الثاني: الوضع الاجتماعي.

المطلب الثالث الوضع الثقافي.

كان المغرب العربي بداية القرن 16م يمر بفترة من الانحطاط والفوضى السياسية، من أبرز مظاهرها الصراعات السياسية و التمزق الداخلية في المغرب الأقصى و الأوسط ما مكن الاستعمار الأسباني والبرتغالي من استغلال هذه الظروف للتوسع نحو الشمال الإفريقي لا بل زاد من حدة التوترات والصراعات من بث للفرقة و الاختلاف بين الدول، كالدولة الزيانية في الجزائر وشجع الانقسامات مما سهل عليه احتلال الحصون الساحلية من المحيط الأطلسي غربا وصولا إلى عنابة شرقا وحال دون توحد الجهود.

أما في المغرب فكان الصراع الداخلي على أشده وزادت حدته في فترة الضعف التي كان يمر بها الكيان الوطاسي، فظهرت العديد من الإمارات التي انضوت في ما بعد تحت الدولة السعدية التي ناد زعيمها للجهاد، لكن استفاقة المسلمين إنما جاءت متأخرة لسيما بعد سقوط الأندلس سنة 1492م.

لا بد أن القطر الجزائري هو الآخر كان معني بحركة الجهاد ضد الأسبان والفضل يعود لجهود الأخوين بربروسا في تحرير الموانئ الجزائرية من قبضة الأسبان وتحويلها إلى قواعد للغزو البحري.

هذا الوضع السياسي المتدهور لابد أن يكون له أثر على الجانب الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

المبحث الأول: الوضع السياسي.

مع مطلع القرن 16م كان الوضع السياسي في المغربين متأزما مليء بالانقسامات والصراعات كانت سببا في الضعف و التقهقر .

المطلب الأول : الفوضى السياسية.

بعد نكبة المسلمين في الأندلس وسقوط غرناطة 1492م، أصبح الأسبان يتطلعون إلى الشمال الأفريقي تحقيقا لأماني الصليبية وتنفيذا لوصية "ايزابيلا"[1]ملكة اسبانيا بينما كانت الدويلات الثلاث (الحفصية و الزيانية و المرينية) غافلة عن الخطر المحدق بها فقد أفنى قواها الصراع، ولم تعد قادرة على التصدي لحملات الأعداء.[2]

فبعدما تراجعت مكانة الدولة الزيانية بتلمسان[3] وارتجت أرجائها ، تطاولت عليها القبائل في المغرب فظهرت عدة كيانات وزعامات سياسية جعلت لنفسها حدود ومحلا لنفوذها، كإمارة ابن القاضي وغيرها .

أ.مملكة بني زيان في آخر عهدها :

لم تعد بالدولة القوية مملكة الزيانيين في بداية القرن 16م وتلاشى سيطها ووزنها إلى درجة أنها لم تعد بمقدورها الدفاع عن ممتلكاتها ضد الغزو الاسباني ومن ذلك غزو الأسبان لمدينة المرسى الكبير سنة1505م، ورغم أن الزيانيين حشدوا جيشا قوامها 32 ألف رجل لاسترداد المدينة لكن دون جدوى وإن السبب الذي جعل المسلمين يتأخرون عن رد العدوان هو استخفافهم بالاستخبار والاستطلاع [4].

---

[1] - **ازابيلا:** ملكة إسبانيا وزوجت فرديناند ملك إسبانيا ، وحدا مملكتين الأراغون و قشتالة سنة 884ه/1479م، كانت وزوجها من جلادي المسلمين في الأندلس، توفيت سنة 1504م، للمزيد انظر محمد علي قطب، مذابح وجرائم محاكم التفتيش، د ط، د. د. ن، د ت، ص120.

[2] - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاث مائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ت، ص66.

[3] -أنظر ملحق رقم: (01).

[4] - نفسه، ص ص 100-101.

من بين المظاهر التي سرعت في تفكك هذه المملكة وضعفها الصراعات التي كانت سببها الحكم، ففي سنة 1503م، "...تولى عرش بني زيان في تلمسان السلطان أبو زيان الثالث الملقب بالمسعود لكن عمه أبا حمو الثالث ، المعروف ب (بوكلمون) ثار عليه وأخذ منه العرش وسجنه، واحتل في التاريخ الجزائري حقبة مضطربة تحت اسم "أبو حمو الثالث".، ولم يمضي وقت طويل على تولي هذا الملك زمام الحكم في تلمسان حتى حشد جيشه سنة 1507م ضد ابن أخيه يحي الثابتي الذي استولى على تنس[1] بمساعدة الأسبان وسار إليه وحدثت بينهما موقعة لم تغير من الأمر شيء إلا أنها زادت من تفاقم الانقسام والفتن في الدولة[2].

ظل أمر بني زيان في فتن وشقاق ورغم احتلال وهران من طرف الأسبان سنة 1509م إلا أن الدولة لم تنهض وتتجدد عزيمتها بل إن الأسبان وجدوا في ذلك فرصة سانحة فضيقوا على تلمسان باحتلال السواحل واحدة تلو الأخرى فتضرر اقتصاد هذه المملكة لتدخل هذه الأخيرة في تبعية الأسبان ، فأصبح أهل هذه المدينة يعانون من بطش وظلم ملكهم، وبغيت التخلص من هذا الوضع أرسل التلمسانيين إلى عروج بربروسا، كان حينها بمدينة الجزائر يطلبون منه الخلاص والنصرة، فقرر حينها تلبية طلبهم إلى جانب أن الملك أبو حمو الثالث الزياني كان يلقى الدعم من قبائل العرب ومن الأسبان، دخل عروج تلمسان بعد أن ثار الأهالي وأعلنوا ولائهم له [3].

بقي عروج بالمدينة ولم يبقي معه سوى ألف جندي وأرسل ثلاثة ألاف إلى مدينة الجزائر لحمايتها، لكن أبو حمو الثالث الملك الهارب أرسل إلى الأسبان يطلب منهم العون قائلا: " لقد وقعت في أيدي القراصنة الأتراك ولم أتمكن من استخلاص أموالي من أيديهم فأين شوكة وعظمة ملككم؟ هل يعقل أنكم صرتم لا تستطيعون أن تخرجوا رؤوسكم خوفا من

---

[1]- أنظر ملحق رقم: (01).

[2]– المدني، مرجع سابق، ص ص108-109.

[3]- خيرالدين بربروسا، مذكرات خير الدين بربروسا، تر: دراج محمد، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، 2010م، ص 86.

حفنة من القراصنة؟ "، فأرسل له الأسبان عشرين ألف دينار ووعدوه بالمدد في فصل الربيع، كما جمع السلطان الهارب حوله عشرة آلاف جندي حاول أن يستعيد بها المدينة لكنه انهزم عنها، كما دعمت قوات عروج ب ألف فارس فأصبح قوام جنده ألفين مقاتل، لكن ملك اسبانيا أرسل إلى قائد وهران يأمره بالمسير إلى تلمسان للقضاء على عروج وكان عدد الجند الموجه إلى تلمسان ما يقارب ثلاثين ألف جندي فحاصروا تلمسان ثلاثة أشهر دون نتيجة فأراد الأسبان مفوضة عروج فقبل شروطهم بأن يخرج من القلعة ويتركها لهم بشرط الأمان لكنهم لحقوا به في الطريق واجتمعوا عليه وقاتلوه قتالا شديدا حتى استشهد[1] سنة 1518م [2].

بعد هذه الحادثة توفي أبو حمو الثالث وخلفه أبو عبد الله الثاني سنة1518م، لكنه سرعان ما خلعه أخوه أبو سرحان المسعود سنة 1519م واستعان بجند خير الدين[3] ودخل تلمسان دون عناء [4]، بعد أن أعاده خير الدين إلى الحكم حذره من أن يركن إلى الأسبان قائلا له: " الآن بفضل سلطاننا جلست على عرش أجدادك، فاحذر مما كان سببا في حرمان أخيك من عرشه وإياك وظلم المسلمين، ولا تخالف أوامري قيد أنملة، ....ولا أسمع عنك أنك أقمت أي علاقة بالأسبان، فهم سوف يقضون عليك عندما يتمكنون منك..."، لكنه نكث ونقض هذا العهد وجار في حكمه على الناس ولما أدرك السلطان المخلوع أبو عبد الله الثاني ما وقع ب تلمسان وتمرد أبو سرحان وكان حينها بوهران اتصل بخير الدين قائلا له: " سيدي السلطان، هل ترون كيف خلعتموني عن عرش آبائي و أجلستم في مكاني كنودا لا يحفظ لكم نعمة ولا يرعى لكم معروفا فهاهو قد خرج عليكم، إذا تكرمتم فضلا ومنة منكم بإعادتي إلى عرشي..."[5].

---

[1]- القائد الذي قتل عروج يسمى :" قراسيا دوتينيو" . ويليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تر:عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، د ط، الجزائر العاصمة، 2006م، ص 43.

[2]- بربروسا، مصدر سابق، ص ص90-92.

[3]- أنظر ملحق رقم : (02).

[4]- المدني، مرجع سابق، ص 247.

[5]- بربروسا، مصدر نفسه، ص104.

كان حينها خير الدين منشغل بتحرير مستغانم[1] فلما دخلها أرسل معه ألف جندي إلى تلمسان فدخلها وبايع السلطان العثماني وبقى على عهده إلى أن توفي فخلفه محمد السابع سنة 1524م الذي اضطرب أمره بين الأسبان والأتراك إلى أن خلعه أخوه أبو زيان أحمد الثالث سنة 1542م، وأظهر استعداد للجهاد ضد الأسبان وبقيت تلمسان في حوزة الزيانيين حتى قام صالح ريس بخلع الملك وضم المملكة إلى إيالة الجزائر سنة 1554م.

ب.الإمارات السياسية:

مع مطلع القرن 16م كان المغرب الأوسط مقسم بين العديد من الكيانات والزعامات تحكمها العصبية و الولاء للقبيلة التي فرضت وجودها على الساحة السياسية فنجد في المنطقة الوسطى وبضبط في مدينة الجزائر سلطنة كوكو التي يحكمها ابن القاضي والتي يمتد نفوذها إلى القسم الغربي من جبال القبائل الكبرى، أما بعض الأجزاء الشرقية من المغرب الأوسط فقد كانت خاضعة لحكم الأمير عبد العزيز الحفصي[2] الذي كان مقر حكمه قلعة بني عباس[3] ، وإمارات أخرى تقتسم الرقعة الوسطى ولا تدين في الغالب بالولاء لأحد .

المطلب الثاني: النجدة العثمانية في المغرب الأوسط.

أ. العثمانيين و الجهاد.

في الوقت الذي كانت الديار الإسلامية في المغرب العربي تعاني من الاحتلال الأسباني الذي سلب ونكل بالمسلمين وتمكن من إخضاع العديد من المدن الساحلية والحصون الساحلية

[1]- أنظر ملحق رقم: (01).

[2]- كان السلطان الحفصي في صراع مع إمارة كوكو، للمزيد أنظر: حسن الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي،ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، 1983م، ص38.

[3]- قلعة بني عباس قلعة مشهورة في بجاية آخر حكامها من الملوك الحفصيين أبي العباس وفي عهده سقطت بجاية في يد الأسبان سنة 1510م، أنظر كتاب يوسف بنو جيت، قلعة بني عباس إبان القرن 16م، تر: سامية سعيد عمار، تق: محفوظ قداش، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية - الجزائر، ص25.

منذ سنة 1505م، إلى أن حل الإخوة بربروسا بجزيرة جربة التونسية فكانت نقطة تحول كبيرة صنعت واقع جديد.

إن سبب مجيء الأخوين إلى جربة بتونس إنما هو بدافع الجهاد لذا يقول خير الدين في مذكراته "...أخذت بقية القطع فجبت البحر المتوسط طولا وعرضا إلى أن أتيت إلى جزيرة جربة حيث لقيت أخي عروج هنالك، وبينما نحن نفكر في وجهتنا إذ بدا لنا أن نتوجه إلى تونس وقلنا :" ما دام الموت هو نهاية كل حي فليكن في سبيل الله"[1].

إن أصل عائلة بربروسا من جزيرة ميدلي[2] حيث كان والد خير الدين يدعى يعقوب أغا أحد أبناء المستوطنين الجدد، تزوج يعقوب من إحدى النساء المحليات فأنجبت له إسحاق و عروج وخضر(خير الدين) و إلياس[3].

إن الأخوين في بادئ الأمر كانوا يغزون في البحر فيغنمون من سفن النصارى غنائم كبيرة، ويأسرون من عليها ويتصدقون على فقراء أهل تونس، ولما اعتدى الأسبان على ساحل بجاية طلب أهلها من الأخوين النجدة واتفقوا على اللقاء تحت أسوار بجاية فاجتمع من مجاهدي زواوة ما يقارب ثلاثة آلاف وخرج عروج من حلق الوادي بخمس سفن لكن الأسبان أرسلوا إلى حصن بجاية خمسة عشرة سفينة اعترضت طريق عروج وفي مناورة سريعة تمكن من إغراق بعضها والاستيلاء على بعضها بينما فرت الأخرى ولم يكتفي بذلك بل نزل إلى البر ليحاصر القلعة ولكن قذيفة نارية أصابت ذراعه فتسببت فيما بعد في بتر

[1]- بربروسا ، مصدر سابق، ص 46.

[2]- **ميدلي:** جزيرة كانت تحت حكم الدولة العثمانية وتابعة لإيالة جزائر بحر سفيد الواقعة في بحر ايجه، أما في عصرنا هذا فهي تابعة لدولة اليونان وتسمى لسبوس، لمزيد أنظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مر: عبد الرزاق محمد حسن بركات، د ط، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض – السعودية، 2000م، ص84.

[3]– بربروسا، مصدر نفسه، ص225.

ذراعه، لكنه في هذه المعركة لم يستطع فتح بجاية وعاد إلى تونس [1]، بعد فترة قصيرة أغار على مدينة جيجل ففتكها من يد الجنويين واتخذ منها قاعدة له.[2]

في سنة1514م قاد عروج جيشا مؤلفا من عشرين ألف من المجاهدين من الزواوة والأتراك ولكنه لم يفلح واستفاد من دراسة نقاط ضعف قلاع بجاية[3]، ثم عاد إلى جيجل وفي سنة 1515م أنزل جيشه بالسفن على سواحل بجاية وحاصرها وقصفها من عدة جهات قصفا شديدا لكن البارود نفذ منه وتقاعس السلطان الحفصي محمد بن الحسن عن مده وكان من بين أسباب عودته إلى جيجل[4].

أما عن مدينة الجزائر، فلما كان الأخويين يحضران للحملة الرابعة على بجاية، إذ بوفد من الجزائر من أعيانها جاء يطلب العون والمساعدة للتخلص من الحصار الذي كان الأسبان يفرضونه على المدينة من حصن الصخرة، فلبى عروج نداء أهل الجزائر وخرج إلى هذه المدينة بجند قدره ثماني مئة تركي على ظهر أحدى عشر سفينة ومعهم ألف وخمس مئة رجل من مجاهدي الشرق ، فلما بلغ المدينة أستقبل بحفاوة بالغة وكان ذلك سنة 1516م[5]، ومن الأحداث التي حدثت بالجزائر أن سالم التومي حاكم مدينة الجزائر اتصل سر بالأسبان فلما علم عروج بهذه الخيانة اغتاله[6].

أما ابن سالم التومي يحي التومي فقد انطلق إلى وهران بعد مقتل أبيه يطلب العون من الأسبان لكن الأسبان لم يكونوا ليقفوا موقف المتفرج من خضوع مدينة الجزائر لعروج، واتفقوا مع سلطان تنس وقواتهم المتمركزة في حصن البنيون وأتباع سالم التومي على طرد

---

[1]- بسام العسلي، خير الدين بربروسا و الجهاد في البحر(1470- 1547م)، ط1، دار النفائس، بيروت- لبنان، 1980م، ص87.

[2]- المدني، مرجع سابق، ص166.

[3]- أنظر ملحق رقم : (01).

[4]- نفسه، ص 169.

[5]- بربروسا، مصدر سابق، ص77.

[6]- الوزان، مصدر سابق ، ج1، ص39.

عروج من الجزائر فقد أعد الكاردينال خمينيس في سبتمبر 1516م عمارة بحرية قوامها 35 سفينة على متنها ثمانية آلاف مقاتل وجعل ديقاو دي فارا قائدا عليها، انطلقت الحملة من سواحل الأندلس نحو باب الوادي، كان مخطط الأسبان يقضي بالنزول واحتلال أعالي القصبة وقصف المدينة وانتظار قدوم جيش تنس ليكتمل الإطباق على المدينة وما إن نزلت القوات الأسبانية حتى بدأت المناوشات والكمائن وحينما أدرك الأسبان أن أتباعهم وأعوانهم خذلوهم وأن سلطان تنس انقطعت أخباره أدركوا خطورة الموقف، فبدؤ يهيئون أنفسهم للانسحاب وما إن باشروا التراجع إلى سفنهم فتحت أبواب المدينة وأغار عليهم المجاهدين من خارج المدينة وداخلها فسبب ذلك إرباكا شديدا لهم، واجتمع عليهم المجاهدين من خارج المدينة وداخلها ولم يستطع الأسبان ركوب السفن لشدة هيجان البحر وقد عصفت الرياح بسفنهم وألقت بها على الصخور، فكانت الهزيمة ساحقة خسر فيها الأسبان عدد كبير من جنودهم ومعداتهم، وبعد هذا النصر الكبير أصبحت مدينة الجزائر منطلق لحملات الاسترداد والتحرير [1].

لم يتوقف عروج عن الاستعداد لاستعادة أراضي المغرب الأوسط ولم يتوانى عن مد يد العون للمستضعفين، فبعد مدة سار إلى تلمسان بطلب من أهلها وفتحها إلا أن أبو حمو الثالث والأسبان دبروا له مكيدة نقضوا من بعدها العهد والميثاق واغتالوه كما ذكرنا سابقا، وكان اغتياله في جانفي 1518م.

ب.إلتحاق الجزائر بالدولة العثمانية :

بعد مقتل عروج في ضواحي تلمسان أيقن الأسبان أنهم أزالوا وتخلصوا من أحد أخطر أعدائهم، وأما في مدينة الجزائر حزن خير الدين على هذه الخسارة الفادحة ولم يفوت ملك

[1]- العسلي، مرجع سابق، ص95-100.

أسبانيا هذه الفرصة[1]، فأرسل إلى خير الدين رسالة جاء فيها:" لقد مات أخوك وقتل أكثر جنوده فكسر جناحك من تحسب نفسك حتى تقف في وجه أقوى ملك مسيحي بدون أخيك؟ ماذا يمكنك أن تفعل؟ خذ سفنك ورجالك وإخرج من الجزائر[2] فورا، وإياك أن تطأ قدماك أرض إفريقيا مرة أخرى، إن هذا أخر إنذار أوجهه إليك سوف أملأ البحر بالسفن وأعود إلى الجزائر قريبا، فإذا تمكنت منك هنالك فلتعلم بأن عاقبتك ستكون وخيمة"، عرف خير الدين أن مدينة الجزائر ستهاجم لا محالة فاستعد طول الشتاء وفي 17 أوت 1519م وصلت حملة الملك شارلكان قادمة من صقلية بقيادة "هوغو دي مونكادا" ورست قبالة مدينة الجزائر وأنزل الأسبان معداتهم واكتفت القوات المدافعة بالمناوشات واحتل الأسبان بعض الأعالي المحيطة بالمدينة وأخذوا بتشييد قلعة في كدية الصابون عرفت بقلعة الإمبراطور وكانوا ينتظرون قدوم الجيش التلمساني ومكثوا في مواقعهم ستة أيام[3] .

عندما أدرك الأسبان أن الجيش التلمساني خذلهم شرعوا في الهجوم، حينها أبان خير الدين عن حنكته الحربية فأرسل عدد من المقاتلين خلف خطوط العدو فأجهزوا على حراس المعسكر وأحرقوا القوارب لمنع الأسبان من الوصول إلى سفنهم، فلما رأى الأسبان من بعيد قواربهم تحترق ارتدوا ورجعوا إلى المعسكر في فوضى اغتنمها المجاهدون فأمطروهم بالرصاص فكبدوهم خسارة فادحة، وبحلول يوم الأحد 24 أوت 1519م كان الأسبان قد قتل منهم عدد كبير وأسر منهم ثلاثة عشر ألف وغرق عدد كبير[4] وتحطمت سفنهم بعدما عصفت بها الرياح وكانت الهزيمة التي نزلت بالأسبان كبيرة[5].

---

[1] – Diego de haédo، Histoire des rois d alger، Tr : De grammont، Adolphe jourdan، libreaire – éditeur.alger،1881، p 35.

[2]- أنظر ملحق رقم: (03).

[3]– مرمول كربخال، إفريقيا، تر: محمد حجي و آخرون، ج2، د ط، مكتبة المعارف، الرباط –المغرب، 1984م، ص331، ذكر أن القائد الإسباني إنتظر 5 أيام قبل الشروع في الانسحاب.

[4]- الوزان، مصدر السابق، أن المعركة دامت 3 أيام ولم ينج من الأسبان الإ القليل.

[5]- المدني ، مرجع سابق، ص 208.

بعد هذا الانتصار عزم خير الدين على ضم الجزائر إلى الدولة العثمانية[1] وربط العلاقات مع الدولة العثمانية فأمر بالخطبة باسم السلطان وصك العملة باسمه وخطب في أهل الجزائر قائلا: " إن السلطان العظيم سليم خان الآن هو خليفة رسول الله عليه الصلاة والسلام فكيف تسنى لكم أن تتركوا خليفة المسلمين و سلطان العالم، وتقرؤون الخطبة وتضربون النقود باسم سلطان المغرب..."، وأوفد خير الدين من الأعيان[2] ومعهم حسين أغا إلى السلطان سليم، ودامت الرحلة إحدى وعشرين يوم وبعد عودته إلى الجزائر قدم إلى خير الدين هدايا السلطان ومن ضمنها السيف والخلعة السلطانية وراية الأميرية ومن حينها أصبحت الجزائر إيالة عثمانية[3]، وبعث إلى الجزائر ألفين جندي من الإنكشارية.

المطلب الثالث : الصراع السياسي في المغرب الأقصى.

أ. الوضع السياسي العام في المغرب الأقصى :

إن وضع المغرب الأقصى في بدايات القرن 16م أقرب ما يكون إلى ما هو عليه الحال في المغرب الأوسط إذ أن العدوان الأسباني كان يهدد المغرب ويحتل موانئ المغرب الأقصى كسبتة و مليلية [4]التي احتلها البرتغاليون سنة 1415م ثم بعد معاهدة صخرة بادس تنازل البرتغاليون عن هاتين المراكز لصالح الأسبان، فبعد سقوط الأندلس أصبح المغرب الأقصى مستهدفا بالخصوص فتحول المسلمون إلى مرحلة الدفاع، ويرجع سبب تقهقر القوة الإسلامية في المغرب إلى الحروب والفتن الداخلية التي أنهكت الدول، فجعل هذا الوضع المغرب الأقصى يدخل في عزلة، فظهور الخطر البرتغالي واحتلاله لمعظم الموانئ المغربية

[1]- أنظر ملحق رقم : (04).
[2]- أنظر ملحق رقم: (01).
[3]- بربروسا ، مصدر سابق، ص 97.
[4]- أنظر ملحق رقم : (01).

حرك الحركات الدينية التي وجدت في الأشراف السعديين المنقذ الجديد، بل أثبتوا ذلك في في ميادين المعارك فقادوا الحروب الطاحنة ضد الخطر الخارجي [1].

كما أن الوطاسيين لما تمكنوا من القضاء على الحكم المريني سنة 1420م شنوا العديد من الحملات ضد البرتغاليين وتمكنوا من رد العدوان عن طنجة[2] سنة 1437م، ومن بين الثغور التي احتلها البرتغاليون، أصيلا التي حاول محمد الشيخ الوطاسي المدعو بالبرتغالي استرجاعها لكنه انسحب منها بسبب وصول المدد للنصارى، كما احتل البرتغال ثغر أزمور سنة 1508، وميناء المعمورة[3] سنة 1515م بعد قتال شديد بينهم وبين المسلمين سنة 1645م [4] ونظرا لضعف النفوذ الوطاسي في أوساط الشعب المغربي فقد حاول الوطاسيين استمالة الطرق الصوفية التي كان لها الدور الكبير في الساحة السياسية المغربية [5].

أما عن الطرق الصوفية التي كان لها التأثير في الساحة السياسية، الطريقة الشاذلية [6] التي وقفت ضد الوطاسيين في فاس وساندت السعديين، وإن مرد تحول هذه الحركات من دينية إلى سياسية هو عجز الدولة المتهالكة عن الدفاع عن سواحل المغرب.

إن ضعف الكيان الوطاسي عجل بظهور كيانات وانتشار الفوضى " فاقتصرت السيطرة الوطاسية على جزء من البلاد يشمل منطقة فاس وبعض السهول المحاذية للأطلسي وحتى نهر أم الربيع، " أما في منطقة المضيق فقد استقل المجاهدين في مدينة شفشاون و تيطوان ولم تعد سلطة الوطاسيين إلا اسمية كما استقلت أيضا قبائل الريف والمغرب الشرقي

---

[1]– محمود علي عامر، محمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي(المغرب الأقصى، ليبية)، دط، جامعة دمشق، سوريا، 1999- 2000م، ص ص 11-12.

[2]-أنظر ملحق رقم: (05).

[3]- أنظر ملحق رقم: (09).

[4]– أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء(الأخبار لدول المغرب الأقصى)، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، ج4 ، د ط، دار الكتاب، دار البيضاء- المغرب، 1997م، ص143.

[5]- نفسه، ص20.

[6]- الطريقة الشاذلية نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي، أسسها في المغرب عبد السلام بن مشيش، عامر، المرجع السابق، ص 25.

والأطلس الأوسط أما جنوب نهر الربيع فأصبح خارج نطاق نفوذ الوطاسيين، وذكر صاحب كتاب تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية " ولما ضعف أمر بني مرين في أوائل سنة (900ه-1495م) وعجز المؤرخون عن تقييد ما ظهر في وقتهم وسيرتهم وانحطاطهم في أعين الناس...وعجزوا عن الجواز إلى الأندلس وصاروا يتماشون مع أيامهم كيف أرادت الرعية لا كيف أرادت ملوكهم...فلما طالت الفترة على هذه الحالة واستمرت، ظهر الجهاد على النصارى بسوس، وأهل سوس مرابطون عليها وبنو مرين يمدونهم بالإعانة والمال والعدة..."، حتى ظهر أمر محمد الشيخ السعدي فقدمهم أهل سوس وفي أمر انضمامهم لأهل سوس أحاديث كثيرة وكان الوطاسيون يمدونه بالمال فلما قوت شوكته انقلب عليهم [1].

ب. الصراع الوطاسي السعدي:

تحولت نشاط السعديين من الجهاد إلى طموح دولة كما سبقتها في ذلك العديد من الدول، يعود أصل السعديين إلى أرض الحجاز حسبما ذكرته كتب التاريخ، كما زعموا أنهم أشراف من ولد محمد النفس الزكية، ويعود نسبهم إلى القائم بالله، فهو:" محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن علي بن مخلوف بن زيدان بن أحمد ابن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن حسين بن احمد بن إسماعيل بن قاسم ابن محمد النفس الزكية ابن عبد الله الكامل بن حسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فهم بنو عم السادة العلويين أشراف سجلماسة[2] يجتمعون معهم في محمد بن أبي القاسم المذكور في النسب"، فقد جاء أهل سجلماسة بالمولى الحسن بن القاسم بن محمد بن أبي القاسم و جاء أهل درعة بالمغرب من شبه الجزيرة العربية من ينبع بالمولى زيدان بن أحمد، وقد لقبوا بالسعديين طعنا في نسبهم بأنهم ليسوا بأشراف وإنما من بني سعد بني بكر إحدى قبائل العرب، وكان أول ملوك

[1]- مؤلف مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، تح: عبد الرحيم بنحادة، ط1، دار تينمل للطباعة و النشر، مراكش – المغرب، 1994م، ص 14.

[2]-أنظر ملحق رقم: (05).

السعديين بدرعة أبو عبد الله محمد القائم بالله، فبعد انشغال الوطاسيين بقتال النصارى في ثغور الشمال وتراجع نفوذهم بالجنوب ببلاد سوس فطلبت قبائل سوس من أن يكون لها أمير تقاتل معه النصارى فاجتمع الأمر على مبايعة الأمير أبا عبد الله القائم سنة (916ه – 1510م).[1]

1. الصراع السعدي الوطاسي في عهد أحمد الأعرج السعدي:

لما عاد أحمد الأعرج وشقيقه محمد السعدي من الحج إلى فاس تفرغ أحمد الأعرج[2] للدراسة في جامع القرويين ومحمد الشيخ لتربية و تأديب ولي العهد الوطاسي أحمد وكلفهما الوطاسي بإعانته في الجهاد، الأمر الذي منحهم السمعة الطيبة في سائر بلاد المغرب، وبرز دور أحمد الأعرج وشقيقه الأصغر في إقليم سوس حيث تمكنا من واسترجاع عدة حصون في المغرب من يد البرتغاليين[3].

كانت التحركات الأولى لأحمد الأعرج الذي خلف والده قد بدأت تثير شكوك الوطاسيين، وتزايدت هذه الشكوك خاصة بعد دخول السعديين مراكش، النقطة التي شكل منعطفا جديدا في العلاقات بين الوطاسيين والسعديين، فقد عقد أحمد الأعرج سلسلة من التحالفات مع الحركات الصوفية، كما تحالف مع مرابطي الريف و الجزوليين ومع أمراء هنتانة الذين كانوا يسيطرون على جزء من الأطلس، وتوسط الجازوليين بين أحمد الأعرج وأمير مراكش السابق ناصر بن شنتوف الهنتاني وتمكن الطرفان من الاتفاق ضد الوطاسيين، ولما تنبه الوطاسي للمكائد التي تحاك ضده قرر مهاجمة فاس وحاصرها فتصدى له المرابط الشيخ الغزواني مما اضطره لفك الحصار بسبب ثورة أولاد عمه في فاس وعاد مسرعا، بعد إخماد ثورة فاس عاد للصراع مع السعديين عام 1528م واشتبك معهم في معركة أنماي التي انتهت بالصلح بين الطرفان[4].

---

[1]– الناصري، مرجع سابق ،ج5، ص 8.

[2]- أنظر ملحق رقم: (06).

[3]– عامر، مرجع سابق، ص35.

[4]– نفسه، ص 36.

بداية من عام 1537م تحرك أحمد الأعرج نحو فاس، لكن الوطاسيين اعترضوا طريقه واشتبكوا معه على ضفاف نهر وادي العبيد سنة(943ه/1537م) واستطاع الانتصار عليهم لكن هذا الصراع كان يخدم مصلحة القوى الأجنبية فقرر العلماء التدخل واقتسام البلاد بينهما، فأقروا بالحكم للسعديين بالحكم من تادلا إلى السوس وللوطاسيين من تادلا[1] إلى المغرب الأوسط[2].

2. الصراع السعدي الوطاسي في عهد محمد الشيخ السعدي:

تفرغ السعديون بعد الاتفاق السابق إلى تنظيم شؤون دولتهم الجديدة وتقوية أنفسهم، فلم يغفلوا أيضا الجهاد ضد البرتغاليين، ففي سنة1541م تمكنوا من استرجاع أغادير[3] وعدد من الحصون كحصن فونتي سنة(947ه-1541م) وتبعه انهيار للقوة البرتغالية في جنوب المغرب فأخلوا حصن آسفي سنة (948ه-1542م) و آزمور وتحرر بفضل جهود السعديين كل الحصون الجنوبية في المغرب [4].

تجهز السعديين بأسلحة حديثة التي اقتنوها من الإنجليز بفضل المصادر المالية الواردة من التجارة، لكن سرعان ما حصل خلاف بين أحمد الأعرج وشقيقه الأصغر منه محمد الشيخ وتطور إلى صدام تمكن فيه محمد الشيخ من تحقيق الانتصار بفضل دعم قبائل سوس له مما اضطر أحمد للانسحاب إلى تافيلالت[5]، وسيطر محمد الشيخ على الحكم، سنة (951ه-1545م)

وبويع في مراكش وقبض على شقيقه أحمد الأعرج وسجنه، ثم تفرغ لحرب الوطاسيين فنقض الصلح الذي كان بينه وبينهم[6].

---

[1]- أنظر ملحق رقم: (05).

[2]– محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تح: هوداس، د ط، مطبعة بردين، انجى، 1888م، ص21.

[3]– عامر، مرجع سابق، ص37.

[4] – الناصري، مرجع سابق، ص20

[5]– عامر، مرجع نفسه، ص38.

[6]– الناصري، مرجع سابق، ص28.

حاصر محمد الشيخ قلعة فشتالة واستولى عليها وأصبحت الطريق أمامه مفتوحة وأكمل زحفه، لكن الوطاسيين بقيادة السلطان أحمد تصدوا له في معركة على ضفاف وادي درنة أحد روافد أم الربيع وتمكن محمد الشيخ من الانتصار وأسر السلطان الوطاسي، وكاد الجيش الوطاسي أن ينهار لولا عم السلطان أبو حسون حاكم إقليم بادس الذي نصب ابن السلطان أحمد حاكما مؤقتا ونجح في صد هجوم السعديين على مكناسة[1] مقابل أن يطلق محمد الشيخ سراح السلطان الوطاسي، قدم الأخير له جملة من التنازلات من ضمنها التنازل له عن الهبط والغرب ومكناسة واعترف له بلقب السلطان وصك العملة باسمه، وبعد إطلاق سراحه أمل أحمد الوطاسي بجمع قوة كبيرة لصد السعديين عن فاس لكن محمد الشيخ عجل بحصار المدينة[2].

دام الحصار على مدينة فاس أربعة أشهر حتى تفشت المجاعة بالمدينة وبلغ ثمن القمح سعرا قياسيا، وحاول السعديين اجتذاب علماء فاس من خلال مراسلتهم لكسبهم ضد الوطاسيين، وتارة يكاتب محمد الشيخ السعدي حاكم المدينة بالعفو مقابل التسليم له، ومن الفقهاء الذين أراد أن يستميلهم السعدي، الفقيه الونشريسي والفقيه الزقاق والفقيه سيدي حرزوز بمكناسة، كان يكاتبهم ويهددهم لكنهم رفضوا نقض بيعة السلطان الوطاسي، فأوفد الشيخ السعدي ممن ولاه من أهل فاس سرا وأغراهم بالمال وتواطئوا على هدم سور الحصن ودخل السعديين للمدينة مع مطلع الصبح، لكن السلطان الوطاسي خرج من فاس الجديدة ومعه جند من أهل المدينة المخلصين واشتبكوا معهم وهزموا قوات السعدي، فلما رأى جواسيس محمد الشيخ ذلك أسرو الندامة وخافوا بطش السعدي بهم و الوطاسي على سواء فعزموا على اغتيال الفقيه عبد الواحد الونشريسي بجامع القراويين فرموه بسهم وخرجوا به إلى باب الجامع وقتلوه، لما علم السلطان الوطاسي خبر مقتل الفقيه خرج بعدها إلى الناس وأبلغهم بعزمه على التسليم للشيخ السعدي حفظا لدماء المسلمين، فأمنه وأرسله مع أربع مائة

[1]- أنظر ملحق رقم: (05).

[2]– عامر، مرجع سابق، ص39.

من عائلته وحاشيته إلى مراكش ثم دس لهم السم، ودخل الشيخ السعدي فاس ثم أخرجه منها أبو حسون المريني الوطاسي بعد أن جاء بجيش الترك من الجزائر، كما سنورده في الفصل القادم [1].

[1]– مجهول، مصدر سابق، ص21.

المبحث الثاني: الوضع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي .

كانت حالة البلدين اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، امتدادا للعصور السابقة فلم يتغير النمط حياة كثير بل بقي ممتدا للقرن السابق 14م، فهذا سبب يدفعنا لدراسة هذه الأوضاع من عدة زوايا للخروج بحوصلة تجعلنا قادرين على الفهم العميق لأوضاع وربطها بعضها ببعض.

المطلب الأول: الوضع الاقتصادي .

أ.التجارة مع العالم الأوروبي.

انتظمت العلاقات التجارية بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي، فكان الشمال الأفريقي نقطة عبور للسلع والمنتجات القادمة من الشرق و جنوب الصحراء، كانت هذه السلع غالبا ما يقتنيها التجار الأوروبيون قدموا من جنوة وايطاليا بصفة عامة، كما أعطي للسفن الأوروبية حرية الدخول إلى الموانئ الرئيسية على طول الشريط الساحلي خاصة الموانئ الجزائرية وكان لها امتيازات وتسهيلات في شراء المئونة والتزود بالماء وكل ما يلزم ويشمل ذلك توفير الحماية للسفن مقابل دفع الرسوم الجمركية واحتفظ العنصر المحلي بمهنة الوساطة بين التجار المحليين والأوروبيين.

عندما تصل السفينة تفرغ حمولتها ويتكفل المكتب الجمركي بتسجيل السلعة و اسم صاحبها شريطة دفع الرسوم الجمركية التي كان مقدارها خمسة بالمائة، أما عن تجارة المجوهرات والأحجار الكريمة فكانت تباع للحكام مباشرة وتستثنى من الضرائب، كما كانت هنالك استثناءات في بعض الأحيان فيما يتعلق بتقديم تسهيلات للسفن التجار المسيحيين لتجاوز العجز الذي قد يحصل في السوق من نقص في المواد الأساسية في الصناعة، "[1] فلقد كانت الدول الأوروبية تزود المغرب بالمعادن الثمينة التي لم تكن تستعمل فقط في صك العملة ولكن في صنع الحلي التي كانت العروس المغربية تستعملها في تزيين نفسها بها قبل

[1]– سبنسر، مرجع سابق، ص23.

الزواج وتلبسها طيلة حياتها كمهر لها "، فكان الحرفيون المغاربة يقتنون من التجار الأوروبيين الصبغة النباتية و المركبات الكيميائية ك الألمنيوم و البوتاسيوم والكبريت [1] .

أما عن مدينة الجزائر فقد كانت تصدر إلى أوروبا أنواع كثير من السلع كالعبيد والخيول والسمك المقدد والمصنوعات الجلدية والملح والشمع والحبوب والمرجان وزيت الزيتون، "...لقد كانت دباغة بجاية مطلوبة جدا في وسط الاسكافيين الإيطاليين باسم اسكورزا دي بوجيا Iscorza di buggiea، وذكرت بهذا الاسم في تسجيلات تعريفية لكل من بيزا والبندقية منذ القرن الرابع عشر..." [2].

أما في المغرب فلقد تأثرت أوضاعه الاقتصادية بالحروب الداخلية التي تهددت سواحله، ففرضت عليه نظام شبه مغلق الأمر الذي زاد من مساوئ الحالة الداخلية للبلاد فعمت الفتن والاضطرابات وأصبح من الصعب وجود طرق آمنة ومنظمة لا تتعرض للسلب والنهب، مما ساعد على التجزئة الداخلية وجعل الوحدات السياسية تعيش في نظام شبه اكتفائي، أما عن المدن الساحلية فقد تعاملت مع الأجانب من البرتغال و الأوروبيين من الرحالة والمستكشفين[3]، ومن المدن الساحلية التي كانت تشهد تجارتها رواجا مع الدول الأوروبية مدينة سلا، فلقد كان السلاويين يشترون من السفن الأوروبية والمواد المصنعة وكانت في مكانتها التجارية تنافس فاس ومراكش[4].

يمكن تقسيم التجارة في المغرب وخاصة مدينة فاس إلى داخلية وخارجية.

- **داخليا:** فقد كانت التجارة بفاس نشطة وكانت مركز رجال الأعمال و التجارة والصناع والحرف وبالإضافة إلى موقعها المميز إذ كان بها رواج كبير.

---

[1]- سبنسر، مرجع سابق، ص24.

[2]- نفسه، ص ص25-29.

[3]– جمعية المؤرخين المغاربة، المغرب في عهد الدولة السعدية(دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية و مختلف المظاهر الحضارية)، ط3، د. د. ن، الرباط – المغرب، 2006م، ص14.

[4]- كينيث براون، "تاريخ مدينة سلا1000- 1800م " ، تر: محمد جيدة، أناس لعلو، د ط، مجلة أمل للتاريخ والثقافة والمجتمع، دار البيضاء – المغرب، 2001م، ص70.

- **خارجيا:** حافظت فاس مع مرور الزمن على مكانتها فقد ارتبطت بها عدة طرق تجارية[1] ساهمت في إثراء المعاملات التجارية الخارجية، فكانت علاقاتها بسائر مدن إفريقيا وخاصة المغرب الأوسط كتلمسان ومعسكر وغيرها من المدن، كما ارتبط الفاسيين بتجارتهم بالمدن الأوروبية كانجلترا كمدينة مانشستر وفرنسا وألمانية[2].

ب.النشاط الحرفي و الفلاحي:

عرفت منطقة المغرب العربي منذ العصور القديمة بأهمية موقعها الاستراتيجي لدى الحضارات لتوفر الغلال و تنوع المنتجات و براعة أهلها في الحرف، فلقد اشتهر المغرب الأوسط و المغرب الأقصى بالعديد من الحرف والصناعات التي كانت بالدرجة الأولى موجهة لخدمة المجتمع، فأحصى حسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا العديد من الحرف بحسب أقطارها، فذكر عن مدينة الجزائر:"...لكل حرفة مكانها الخاص" أي أنها كانت منظمة تنظيم حسنا وكذلك مدينة تلمسان فقد كانت الحرف والصناعات موزعة على مختلف الساحات والأزقة، كما كان تلمسان تتصدر المدن التي تشهد رواج في النشاط الحرفي[3]، بالإضافة إلى مستغانم التي كان سكانها يزاولون الحرف النسيجية[4]، واشتغل الأندلسيون بعدما سكنوا شرشال[5] بصناعة السفن والحرير[6]، إذ كان بالمغرب الأوسط تنوع كبير في الصناعات الحرفية بحيث يصعب حصرها.

أما بالمغرب الأقصى نجد العديد من المدن التي كانت لها دور فاعل في حلقت الإنتاج، خاصة مدينة فاس التي يمكن تقسيم الحرف بها إلى ثلاثة أنواع:

---

[1]- أنظر ملحق رقم: (01).

[2]– محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعدّ بعض مفاخرها غير المتناهية، تح: ادريس بوهليلة،ج1، ط1، دار أبي الرقراق للطباعة و النشر، المملكة المغربية، 2005م،ص47.

[3]- الوزان، مصدر سابق،ج2 ، ص19.

[4]– نفسه، ج2، ص32.

[5]- أنظر ملحق رقم: (01).

[6]– نفسه، ج2، ص34.

1_ الصناعية الغذائية: التي اعتمدت هذه الصناعة على الطاحونة التي تطحن القمح الذي يمثل المادة الأولية لصناعة الخبز وغيره من الأطعمة و المعاصر التي كانت تعصر الزيتون للحصول على الزيت.

2_ **الصناعة النسيجية:** كانت هذه الصناعة تلقى رواجا زائدا في الأسواق الداخلية والخارجية لجودتها و أهمها:

2.أ. صناعة الملابس: وتعتمد على الأدوات التقليدية كالصوف و القطن والحرير.

2.ب.صناعة الدباغة: كانت تشتغل عددا كبيرا من السكان، وأكبر كمية من صادراتها كانت توجه إلى الأسواق الداخلية.

2.ج.صناعة الأحذية: تنقسم إلى طائفتين، الطائفة الأولى طائفة الخرازة(البلايغية) وهم صانعوا أحذية الرجال، و الثانية طائفة الشرابلين، وهم صانعوا أحذية النساء وكلا الطائفتين كانا يصدران منتجاتهم إلى الأسواق الوطنية والأجنبية.

3_ الصناعة المعدنية: ظلت هذه الصناعة محافظة على قوتها مثل جميع أنواع الصناعات فقد تطورت هذه الصناعة مع مرور الوقت فيصنع الحداد مقصاة الإسكافيين ومحك الدباغين والمسامير والسلاسل...إلخ، أما صانعوا الأسلحة فاقتصر عملهم على صناعة الخناجر والسيوف والبنادق و غيرها من الأدوات البسيطة[1].

أما عن النشاط الفلاحي فإن أغلب أرض المغرب أرض خصبة عامرة بالناس يسكن أغلب سكانها في البوادي والجبال يعيشون على الرعي من تربية الأغنام في المناطق الجبلية وأما في المناطق القريبة من الصحراء فأغلبهم بدو رحل يرتحلون صيفا شمالا بحثا عن المراعي وموارد المياه لمواشيهم وفي الشتاء ينزحون إلى الصحراء في دورة مستمرة تضمن لهم البقاء، أما عن سكان الأطلس ففيهم من يسكن السهول و يحرثها و يزرعها قمحا يباع مقدار معين و يخزن الباقي أما في الجبال فهي وافرة بالأشجار المثمرة كالزيتون وسائر

[1]- المشرفي، مرجع سابق، ج1، ص48.

الفواكه المتنوعة فمدينة الجزائر تحيط بها عدد من البساتين والأراضي المغروسة بأشجار الفواكه خاصة سهل متيجة[1] حيث يزرع فيه القمح ذات نوعية جيدة [2].

كما اشتهرت مدينة مليانة بخيرات كثيرة حتى قال حسن الوزان عنها "... تقع هذه المدينة في جبل على نحو أربعين ميلا من البحر أي عن شرشال، وهذا الجبل مليء بالعيون ومكسوا بأشجار الجوز حتى أن الجوز لا يشترى ولا يقتطف ..."[3].

أما عن مدينة تنس فقد اشتهر إقليمها بإنتاجه الكثير من القمح والعسل، أما عم مدينة تلمسان فقد اشتهرت بساتينها وغلالها كسائر أقطار المغرب.

بصفة عامة " فلقد اتبع الفلاح دورته الفلاحية وما يمليه عليه المناخ، فالعام الفلاحي ينطلق مع فصل الخريف في سبتمبر وأكتوبر، فيحدد الأرض المحروثة بحرقها وبتساقطات الأولى يشرع في حرثها وتحضير لعملية البذر مستعملا ما يسمى بالزويجة ب استخدام ثورين مخصصين للحرث "، كما أن أهل المغرب عرفوا منذ القديم فن التطعيم والتقليم بالنسبة للأشجار المثمرة المنتشرة بالمناطق الجبلية والسهلية كغابات الزيتون و غيرها" [4].

تتمايز الأعوام بوفرتها أو قلتها بحسب تساقط المطر في فصل الربيع وبحلول شهر جوان تكون الحبوب قد وصلت إلى مرحلة النضج فبعد حصادها تبقى الأرض لرعي الأغنام وتكرى هذه الأرض للموالين القادمين من أراضي الجنوب، أما عن النشاط الرعوي في هذه الفترة فقد كان كبيرا في مناطق الأرياف والبوادي و بالخصوص المناطق الداخلية حيث يسود المناخ الشبه جاف الموازي لخط المطر السنوي الواقع بين(600-800مم)، كما أن

---

[1]- أنظر ملحق رقم: (01).

[2]– الوزان، مصدر سابق، ج2، ص 37.

[3]– نفسه، ج2 ، ص35.

[4]– محفوظ سعيداني، " الفلاحة في بلاد المغرب في القرنين 18 – 19م"، مجلة الدراسات الإفريقية، جامعة الجزائر2، العدد 15-16، 2012-2013م، ص197.

أهل البوادي ألفوا حياة الترحال للبحث عن المراعي لمواشيهم و في اغلب الأحيان تكون الأرضي تابعة للملكيات المشاعة فتستخدم كمراعي موسمية [1].

المطلب الثاني : الوضع الاجتماعي.

أ.المستوى المعيشي :

عرف أهل المغربين حياة متفاوتة تختلف بين منطقة و أخرى و بين البادية والمدينة إذ أن أهل البادية في غالبيتهم من العرب اعتادوا العيش في الخيام ورعي الإبل والأنعام مرتحلين بين المراعي يعيشون على القمح والشعير الذي يردهم وعلى ألبان النوق والتمر، لباسهم كسائر العرب يدل على حالهم من عناء وقسوة البيئة من أحوالهم[2].

أما عن سكان الجبال والسهول فهم مزيج و خليط من العرب و الأمازيغ، فالعرب يسكنون غالبا في السهول و يستحوذون عليها ويلحقونها بأملاك القبيلة ويعيشون على زراعة الأراضي لكن هذه القبائل تختلف في الثراء، فالقبائل الثرية تحوز على الأراضي الخصبة ولها عدد وافر من الأنعام وإن من العرب من بلغت به الحاجة والفاقة إلى الإغارة والنهب وقطع الطريق حتى تتمكن القبيلة من البقاء، أما عن أهل الجبال فغالبيتهم من الأمازيغ يسكنون دورا من الصخر والتراب ويلبسون لباس خشن أو قلنسوة تقيهم شدة البرد في الشتاء ، أرضهم تصلح لزراعة الأشجار المثمرة، وهي عندهم وافرة كشجر الزيتون،

كما تشكل القبيلة تجمعا يرئسها شيخا مقدما ذا نسب وعلم، ويتواصل أهل الجبال بأهل السهول فيجتمعون بالأسواق الأسبوعية و يشتري أهل الجبل ما يلزمهم و كذلك آهل السهول.

أما عن أهل الحواضر من المدن فنجد بها مزيجا من الأعراق كلا ومنزلته من المجتمع ويتمايز لباسهم ففيهم الحرفيون والتجار وهؤلاء أحسن حالا من غيرهم، كما نجد الفقراء

[1]– سعيداني، مرجع سابق، ص199.

[2]– الوزان، مصدر سابق، ج1، ص59.

والأيتام الذين يتكفل بهم أهل الصلاح والخير، وبالمدينة أعلاهم منزلة العلماء والفقهاء والقضاة و الأمراء.[1]

كما شهدت الجزائر والمغرب الأقصى في بداية القرن 16م انتشار الأوبئة التي انتقلت إلى المغرب مع المهاجرين الأندلسيين، فقد ظهر الوباء في سوس سنة 917ه/1511م، وانتشرت المجاعات في أغادير[2] سنة1518 م و عدد من المدن، وضرب المغرب جفاف كبير سنة 1520م، فتسببت هذه الأزمات في ارتفاع الأسعار سنة 1522م.[3]

ب_الطبقات الاجتماعية :

في كل مجتمع لا بد من وجود تمايز واختلاف في منزلة الاجتماعية ومرد ذلك إلى مجموعة من الأعراف والضوابط التي تأثر في المجتمع وتجعله يتقبل هذا الاختلاف، فالمجتمع المغاربي كغيره من سائر الأمم انقسم ضمن ترتيب هرمي أساساه الطبقات السفلة التي تشكل الغالبية العظمى وأعلاه الطبقة المرفهة والتي لها صيت وجاه، فنجد بأعلى الطبقات طبقة الحكام والأمراء وعائلاتهم، ثم تليها طبقة العلماء و الصلحاء وفيها يدخل شيوخ الإفتاء والقضاة وأصحاب الثراء من ذوي النفوذ، أما في الطبقة التي تليها فنجد التجار والحرفيين من ذوي الدخل المحدود، سواء أكانوا من المسلمين أو غيرهم من الذميين، أما عن الطبقات السفلى فهي مكونة من الفقراء من العامة وأدنى منهم منزلة العبيد والأسرى، بصفة عامة هذا ينطبق على المدن والحواضر، أما في الأرياف والبوادي فهذا التقسيم مغاير نوعا ما فالسائد هو النظام القبلي الذي نجد بأعلاه شيخ القبيلة أو المقدم عليها ومن حوله أسرته و بعد هذه الطبقة نجد أفراد القبيلة الذين يخضعون لشيخ القبيلة، مع وجود استثناءات في بعض القبائل والعروش ففي منطقة القبائل وفي جبال الريف في المغرب نجد بعض الأحيان أن شيخ الزاوية يمكن أن يكون هو سيد القبيلة.

---

[1]– الوزان، مصدر سابق، ج1، ص 68.

[2]- أنظر ملحق رقم: (09).

[3]- محمد رزوق، الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 – 17م، ط3، أفريقيا الشرق، الرباط – المغرب، 1998م، ص147.

كما أن في داخل النظام القبلي نجد أن المحارب والفارس أحسن منزلة من سائر العوام خاصة لدى القبائل العربية، أما عن التنوع العرقي في منطقة المغرب فنجد مزيجا، فأصل السكان هم من الأمازيغ أو ما تسميه بعض المصادر النوميد ولم يستوطن العرب المنطقة إلا بعد الفاتحين من ولم يطغى التواجد العربي في المنطقة إلا بعد هجرة بني هلال من المشرق إلى المغرب وتوزعت وانقسم نسلهم في شمال المغرب كله، ولما دخل العرب الفاتحون شمال إفريقيا وجدوا بها من اليهود والنصارى فمنهم من اعتنق الإسلام ومنهم بقى على دينه، وبعد نكبة الأندلس وسقوط غرناطة انكبت على شمال المغرب جموع الفارين من بطش مملكة إسبانيا وفيهم من ذوي الأصول العربية و الأمازيغية واليهود[1]، فقد بلغ عدد المهجرين الذين وفدوا على الجزائر العاصمة وحدها 25 ألف ووهران حوالي 12 ألف في استقروا بهذه المدن وكونوا جماعات خاصة بهم[2] .

كما استقر الأندلسيون بالمغرب الأقصى في كل من سلا وتيطوان[3] ومراكش ومكناس وأسهموا في بناء المجتمع المغربي[4].

المطلب الثالث: الوضع الثقافي .

لقد تصارعت الدويلات الثلاث وعلى رأسها المرينية و الزيانية فاستغل هذا الوضع النصارى وخاصة اسبانيا فأغاروا على ثغور المسلمين وأخذوها عنوة وهذا ما كنا اشرنا إليه في بعض المواضع السابقة، فحال المسلمين حينها كان سيء حرج أثر ذلك على الوضع الثقافي والفكري فاشتغل العلماء في أغلب أحوالهم للدعوة للجهاد والحث على الإعداد لذلك فقد أشار الأستاذ أبو القاسم سعد الله رحمه الله إلى هذا قائلا: " ...ومن دراستنا لرسالة عبد الرحمان الثعالبي في الجهاد نعرف مدى تدهور الأوضاع السياسية في وسط البلاد أيضا ومنها أيضا نعرف مدى ضعف القادة السياسيين وأهمية دور العلماء والمرابطين في القيادة

[1]- الوزان، مصدر سابق، ج1، ص46.

[2]- رزوق، مرجع سابق، ص131.

[3]- أنظر ملحق رقم: (05).

[4]- نفسه، ص301.

العامة في الحروب ورد غارات الأجانب ..."، ومن أثر الحروب على الوضع أن هاجر العلماء إلى المشرق والمغرب ومن العلماء الذين هاجروا المغرب الأوسط إلى فاس أحمد بن يحي الونشريسي، كما هاجر محمد بن عبد الكريم المغيلي إلى السودان القديم وممن هاجروا إلى المشرق وتوفوا به أبو الفضل محمد المشدالي البجائي وأحمد سالم الوشتاتي القسنطيني ومحمد بن أحمد المعروف بابن صعد التلمساني، ومن العلماء من دخل في خدمة السلاطين ومنهم من تفرغ إلى العزلة والتصوف [1].

أما عن الحواضر والمدن التي كانت مركز للإشعاع الثقافي فنجد في المغرب فاس إذ نجد بالمغرب جامع القرويين الذي شكل منارة العصر ومقصد العلماء، وبالمغرب الأوسط نجد مدينة بجاية و قسنطينة إذ كانت بها المدارس والمساجد لتعليم علوم الدين [2].

أ.التعليم:

كسائر الأقطار الإسلامية و ما تعارف عليه المسلمون بإتباع لسنة النبي عليه الصلاة والسلام ، يبدأ منطلق التعليم من الزاوية، حيث يتلقى الصبيان فنون الحساب والكتابة ثم يتدرجون في حفظ القرآن وحفظ متون الحديث وتدارسها مع المشايخ فينهلون منهم ما استطاعوا حتى إذا أتموا مناهجهم رحلوا إلى قطر آخر لرفع مستواهم العلمي في علوم الفقه والتفسير وغيرها من العلوم الدينية وحتى الدنيوية كعلم الفلك و الحساب [3].

كما أن أهل الأندلس بعد سقوط غرناطة سنة 1492م لما فروا أقاموا بحواضر معينة في كامل المغرب ، فكانوا مقصد طلاب العلم، و ما أضافه هؤلاء في مناهج التعليم أنهم لم يقتصروا في تعليم القرآن للأطفال بل تعاده إلى تعليم الحديث و القواعد العامة لمختلف

[1]- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي 1500- 1830،ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، 1980م ص44.

[2]-عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ط2، دار مكتبة الحياة، الجزائر، 1965م، ص257.

[3]– الوزان، مصدر سابق، ج1، ص262.

العلوم وتدارس بعضها كما علموا علم القراءات، كما نشر الأندلسيون خطهم حتى ساد على خط المغرب العربي [1].

ب_ العلوم الدينية:

نقصد بها العلوم الشرعية كالدراسات القرآنية والقراءات و الحديثية كرواية الحديث ودرايته، بما في ذلك الإثبات والإجازات و الفقهية من العبادات والمعاملات كالنوازل، "وأهم ما تميزت به العوم الشرعية في هذا العهد بالتقليد و التكرار والحفظ فالفقهاء قلما اجتهدوا أو استقلوا بآرائهم، بل كانوا يقلدون سابقيهم تقليدا بالكاد يكون أعمى فإذا ما حاول أحدهم أن يشذ عن هذا التيار أقاموا عليه الدنيا و أقعدوها ..."[2]، ومن بين العوم التي كانت تدرس، علم التفسير الذي كان شائعا بين العلماء البارزين من الذين اشتهروا بذلك محمد بن علي أبهلول وابن للو التلمساني وعبد القادر الراشدي القسنطيني، و أبو راس التلمساني، ففي الغالب كان علماء التفسير ينقلون العلوم عن شيوخهم ويحفظونها حفظ حرفيا.

اشتهر في هذا العصر بتدريس القراءات أكثر مما اشتهروا بالتأليف فيها، ومن بين المناطق التي اشتهرت بتدريس هذا العلم، منطقة القبائل فقد كانت هذه المنطقة مقصد العلماء، ويقول في هذا الصدد الأستاذ أبو القاسم سعد الله عن الشيخ محمد بن مزيان التواتي المغربي "...قد تثقف في المغرب في الفقه والنحو على الخصوص حتى أصبح يلقب بسبويه زمانه ومع ذلك فإنه حين جاء إلى قسنطينة وجلس للتدريس بها ولم يستغني عن الذهاب إلى زواوة لتعلم القراءات السبع بها وكان من شيوخه فيها عبد الله أبو القاسم...".

أما في القراءات خلال هذا العهد فقد كان أقل من التفسير "فجل اعتماد علماء الجزائر حينئذ كان على" مورد الظمآن" للشريشي المعروف بالخزار المغربي وعلى شرح محمد التنسي و المسمى: "الطراز في شرح ضبط الخراز"، وفي نهاية القرن التاسع ألف محمد شقرون بن أحمد المغراوي المعروف بالوهراني عملا في القراءات أيضا سماه " تقريب

[1]- سعد الله، مرجع سابق، ج2، ص475.

[2]– نفسه، ص 9.

النافع في الطرق العشر النافع..."، ومن بين القراء المشاهير " محمد بن تورينت العبادي التلمساني الذي توفي مجاهدا في فتح وهران [1].

أما في علم الحديث فقد اعتنى الجزائريون به وأولوه اهتمام بالغا كونه علم مهم في التشريع والإفتاء و الأحكام ومن أوجه الاهتمام لدى المغاربة بصفة عامة هو الحفظ فقد اشتهر الحفظة بحفظ المتون الستة و على رأسها صحيح البخاري و مسلم و كان يدرس الحديث بالمدارس الكبرى و الجوامع الشهيرة ، وما ميز أهل المغرب في قراءة الحديث أنهم كانوا يقرؤونه بصوت رخيم حسن جهوري وتبرك بالحديث النبوي، فكان لا يكتفي بحفظه بل بإلقائه على الجنود أثناء الجهاد في وفي الحروب ضد الأسبان حتى أن صحيح البخاري كاد ينافس المصحف في الاستعمال[2]، إذ لم يكن الحديث يدرس لذاته و إنما للعمل به وتطبيقه في النواحي الشرعية و المعاملات في الحياة، ومن بين المؤلفين في علم الحديث أحمد المقري وكان مشهورا برواية الحديث الذي لأخذه عن علماء المغرب والمشرق وقد ألقى في جامع الأمويين بدمشق الحديث واجتمعت حوله حشد كبير يستمعون له وهذا إن دل فإنما يدل على تمكنه من هذا العلم [3]، ومن بين مؤلفاته "فتح المتعال في مدح النعال" و"أزهار الكمامة في أخبار العمامة و نبذة من ملابس المخصوص بالإسراء والإمامة" كما نجد العديد من المؤلفات في الحديث و سنة كمؤلفات عبد العزيز الثميني الذي سماه" مختصر حاشية مسند الربيع بن حبيب" وغيرها[4].

---

[1]- سعد الله ، مرجع سابق، ج2، ص22.

[2]– نفسه، ص26.

[3]- أحمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، ج1، م1، د ط، دار صادر، بيروت – لبنان، 1968م، ص5.

[4]- سعد الله، مرجع نفسه، ج2، ص30.

إن الوضع السياسي في المغربين الأوسط والأقصى كان يسير نحو أفق مظلم يخدم القوى الاستعمارية على حساب الوجود الإسلامي في غرب المتوسط، ما استوجب إيجاد بديل لحالة الركود السياسي التي طغت عليها الانقسامات والخيانات على حساب مصلحة الشعوب المغاربية.

لقد أسهم الوجود العثماني التركي في الجزائر في تغيير الوضع إلى الأفضل وعزز الوجود الإسلامي من جديد ونقله من مرحلة الارتباك إلى مرحلة الهجوم بداية من التوحيد الداخلي الذي تم في عهد صالح ريس سنة 1554م لما ضم مملكة تلمسان المنهارة.

أما في المغرب الأقصى فقد احتل البرتغال والأسبان معظم أراضيه الساحلية ولم يستطع الوطاسيين رد الغزو الخارجي و استرداد ما أخذ منهم، وتزايد الضغط عليهم من خلال حالة الوعي التي ظهرت لدى الفرد المغربي فوجد ضالته في تأييد السعديين لإزاحة الكيان المنهار واسترداد أراضي المغرب الأقصى من القوى المسيحية.

هذا التزامن بين القطرين غير الحالة السياسية في البلدين بصفة كبيرة وأوقف الخطر الخارجي.

رغم تأثر الوضع الاجتماعي والاقتصادي بالظروف السياسية إلا أنه لا يمكننا إغفال دور الجانب الثقافي والديني في توعية الوسط الاجتماعي و التحسيس بالواجب المنوط به، للدفاع عن الأرض واستردادها من العنصر المسيحي.

فلقد حظي القطر المغربي والجزائري بمؤهلات اجتماعية واقتصادية، إلا أنها لم توظف في تحقيق الازدهار كما العالم الأوروبي، بل بقي على النسق القديم في المجال الاقتصادي.

الفصل الثاني:

العلاقات السياسية والاقتصادية

المبحث الأول: العلاقات السياسية.

المطلب الأول: العلاقات مع الدولة الوطاسية.

المطلب الثاني: العلاقات مع الدولة السعدية.

المطلب الثالث: العلاقات مع الدولة العلوية.

المبحث الثاني: العلاقات الاقتصادية.

المطلب الأول: العلاقات التجارية.

المطلب الثاني: الصناعة والحرف.

منذ ظهور الدويلات الثلاث ونخص من ذلك الدولة الزيانية والمرينية، عرفت الجزائر والمغرب علاقات في المجال السياسي والاقتصادي، لكن مع مطلع القرن القرن 16م تراجعت هذه العلاقات السياسية و تحولت إلى الركود في أواخر عهد الدولة الزيانية بفعل اختلاف التوجهات، فالوطاسيين كانوا يمثلون حركة الجهاد في المغرب الأقصى و الزيانيين كانوا يتخبطون في حلقة الصراع على الحكم ويدورون في فلك الأسبان، ومع سقوط مملكة تلمسان تجددت الروابط بين حكام المغرب والجزائر في إطار الجهاد وحملات الاسترداد، فالعثمانيون في الجزائر كانت لهم علاقات طيبة مع الوطاسيين ثم تحولت هذه العلاقات من علاقة سلمية إلى عدائية في العهد الأول للدولة السعدية كانت سبب في الانقسامات السياسية وتراجع التعاون المتبادل بين البلدين، لكن سرعان ما عادت العلاقات لتتحسن في العهد السعدي الثاني.

إن موقف الجزائر كان دفاعيا ضد الانتهاكات الحدودية التي كان يقوم بها حكام المغرب في عهد الدولة العلوية خاصة في عهد السلطان المغربي المولى إسماعيل ولطالما طمحت الجزائر إلى تأكيد التعاون بين القطرين، لكن يبدو أن تغليب المصالح كان سببا في الصدامات الغير محسوبة العواقب التي استغلها الاستعمار الاسباني في بذر الفرقة بين البلدين.

أما في الجانب الاقتصادي فقد استمرت العلاقات التجارية بدون عوائق إلا في بعض الاستثناءات، وخير دليل التعاون بين الجزائر والمدن الساحلية شمال المغرب مثل: تيطوان وسلا اللتان ساهمتا بقسط وافر في تعزيز التجارة البحرية مع مدينة الجزائر، ولتلمسان هي الأخرى الدور البارز في تعزيز التجارة البرية بين البلدين.

المبحث الأول: العلاقات السياسية.

بحكم الجوار بين البلدين كان لابد من وجود علاقات سياسية تحكمها مجموعة من المصالح التي تسعى كل دولة لتحقيقها، فمع توالي الأنظمة السياسية في المغرب الأقصى تأثرت العلاقات بتوجه الأنظمة الجديدة وأهدافها.

المطلب الأول: العلاقات مع الدولة الوطاسية:

لم يستفق المسلمون في المغرب من سباتهم إلا بعد أن خسروا العديد من الحصون الساحلية بعد أن احتلها الأسبان والبرتغال، ففي المغرب الأقصى كان الوطاسيين يواجهون القوتين في نفس الوقت بين كر وفر، ومن بين الاستراتيجيات التي انتهجها الأسبان في تقسيم المغرب العربي وضرب وحدته هو بذر الخلاف بين المرينيين و الزيانيين و كان ذلك سبب في عدم تحركهم و توحدهم لإنقاذ الأندلس، فبدل ذلك دخلوا في حروب ضد بعضهم كلفتهم خسائر مهدت للأعداء إيجاد قدم لهم في المغرب، لكن الوطاسيين كانوا قد استفادوا من التجارب السابقة فعوض انشغالهم بالتوسع انشغلوا بالجهاد ومؤازرة المسلمين في المغرب الأوسط، كما كان التنسيق بين المغرب الأوسط والأقصى مهما خاصة في عهد السلطان أبا عبد الله الوطاسي المدعو بالبرتغالي، فقد حاول أن يرسل مركبين لإعانة المغرب الأوسط ضد الأسبان وكان ذلك سنة (920ه-1514م) كما كان اهتمام الوطاسيين بأخبار مملكة الزيانيين بارزا، لما دخل عروج تلمسان خرج منها أبو حمو الثالث هارب يطلب العون فكان أول من طلب منهم العون حكام المغرب الأقصى في فاس، فوجدهم منشغلين بقتال النصارى فقرر طلب العون من الأسبان، وجاء بجيش كما تقدم ذكره و أخرج عروج من تلمسان[1].

قد قال الأستاذ احمد توفيق المدني في كتابه حرب الثلاث مئة سنة عن قصة خروج عروج من تلمسان : "... ولما انتهى كل ذلك آوى عروج و بقية رجاله إلى قلعة المشور، فتحصنوا بها منتظرين مددا، وقد قيل- وليس بأيدينا ما يؤكد هذا القول أو ينفيه- أن عروج

[1]- عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم،ج7، د ط، أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، 1988 م، ص191.

كان ينتظر النجدة من قبل ملك فاس الوطاسي المريني تنفيذا لاتفاق عقد بينهما، وأن الملك المريني قد أرسل فعلا بجيش لنصرة عروج وتمكينه من الدفاع عن تلمسان ضد الأسبان وأنصارهم، لكن ذلك الجيش سار على طريق مليلة[1]، فطال به السير و لم يتمكن من الوصول إلى ميدان المعركة في الوقت اللازم..."[2]، وما يعزز هذا القول أن عروج فعلا كان ينتظر المدد أنه توجه جهة الغرب في طرق ملتوية نحو الساحل .

لما مات أبو حمو الثالث ترك اثنين من ولده محمد عبد الله الثاني 1518م وأبو سرحان المسعود 1519م فكان الحكم للأول فثار عليه أخوه أبو سرحان المسعود و دخل تلمسان بمساعدة خير الدين ومساعدة الوطاسيين أيضا، فقد أمدوه بالمال و السلاح، كما ورد أيضا في هذا الصدد أن الأسبان لما انهزموا في غزوتهم الكبرى ضد الجزائر، أو ما تعرف بغزوة "شارلكان" سنة 1541م، أرسل حسن باشا بن خير الدين برسالة إلى ملك فاس أبي العباس الوطاسي في05 جانفي 1542م دلالة على التضامن بين القطرين، حتى أن السفن الجزائري قد سمح لها الوطاسيين دخول ميناء تيطوان للتزود بالمؤن[3].

لما قويت شوكة السعديين بقيادة محمد الشيخ الذي زحف نحو فاس عاصمة الوطاسيين بعدما كان ملكهم في طريق الاندثار، وكان بها من السلاطين بني وطاس أبو العباس الذي حكم مابين 1547-1549م، فضيق السعديون على فاس و حاصروها مدة 14 شهرا حتى اشتكى الناس شدة ما هم فيه، ورأفة بالناس خرج السلطان إلى محمد الشيخ السعدي وطلب منه الأمان للناس مقابل تسليم فاس له، فأمنه محمد الشيخ السعدي ثم غدر به وقتله وحاشيته بالسم بمراكش، لكن ولد السلطان المغتال كان قد فر إلى ناحية الريف قبل موقعة فاس وأخذ يترقب حتى بلغه مقتل والده و كان ذلك سنة 1549م/956ه [4].

---

[1]- أنظر ملحق رقم : (05).

[2]- المدني، مرجع سابق ، ص190.

[3]- التازي، مرجع سابق، ج7، ص309.

[4]– مجهول، مصدر سابق، ص20-22.

انطلق الأمير الوطاسي أبي الحسون المريني إلى ملك إسبانيا يطلب منه العون لكن ملك النصارى رفض أن يعينه بالجند فأعطاه المال و أشار عليه بطلب العون من الترك في الجزائر، قائلا: "...و أنت يا سلطان اسمع ما أقول لك ورأي عليك سعيد و تدبيري لك مفيد...يا سلطان أن أعطيتك جيش النصارى لم يبقى لك في المغرب ناصح ولا في المسلمين حبيب فتجتمع كلمة المسلمين عليك...إنما يليق بك أن تذهب إلى الجزائر و تنعم لهم بالمال وتخرج محلة الترك..." وكان ملك إسبانيا من وراء هذا يريد أن يورط الترك العثمانيين في حرب ضد السعديين، فكان له ما أراد، ثم انطلق الأمير الوطاسي إلى ملك البرتغال فأمده بسفن لبلوغ مراده لكنه أسر من طرف الأسطول الجزائري الذي كان يتوجه إلى صخرة بادس فقص عليهم ما فعله السعديين بفاس ووعده صالح ريس بالمدد و تمكينه من دخول فاس شريطة الاعتراف بالتبعية للسلطان العثماني، فجهز صالح ريس 22 سفينة و8 آلاف مقاتل أنزلهم في مليلية فمر بتلمسان ودخل المغرب الأقصى و انضم لجيشه من المغاربة تحت قيادة أبو حسون والعديد من أعداء السعديين و دخل صالح ريس فاس يوم 8 جانفي 1554م(3 صفر 961ه) و مكثت الحامية التركية أربعة أشهر بفاس، ثم رجع إلى الجزائر تاركا حامية صغيرة لحماية الأمير الوطاسي[1]، لكن محمد الشيخ السعدي استغل وجوده بمراكش فاستنفر القبائل و جمع عددا كبيرا من الجند و زحف بهم على فاس فخرج إليه السلطان أبو حسون لكنه انهزم إلى أسوار فاس و حوصر من السعديين حتى ظفروا به فقتل الأمير الوطاسي يوم السبت 24 من شوال 961ه وانقرضت دولة الوطاسيين[2].

[1]- المدني، مرجع سابق، ص342.

[2]- الناصري ، مصدر سابق، ج4، ص161.

المطلب الثاني: العلاقات مع الدولة السعدية.

أ. حرب محمد الشيخ السعدي مع الجزائريين:

بعد سقوط فاس سنة 956ه وجه محمد الشيخ السعدي أنظاره إلى المغرب الأوسط، وقرر فتح تلمسان وما زاده تصميما ، فرار خصمه أبو الحسون الوطاسي إلى الجزائر.

يقول صاحب كتاب الاستقصاء : "...فرأى الشيخ من الرأي إظهار القوة في الحرب أن يبدأهم قبل أن يبدؤوه فنهض من فاس قاصدا تلمسان في جموعه إلى أن نزل عليها وحاصرها تسعة أشهر ، وقتل في محاصرتها ولده الحران ، وكان نابا من أنيابه و سيفا من سيوفه، ثم استولى الشيخ على تلمسان و دخلها يوم الاثنين 23 جمادى الأولى سنة 957ه/1550م، ونفى الترك عنها ، وانتشر حكمه في أعمالها إلى وادي الشلف[1]..."، وفي حقيقة الأمر أن السعديين استغلوا انشغال حسان بن خير الدين سنة 1550م بإعداده لفتح وهران بعدما جهز جيش قوامه ألف رجل من رماة البنادق و**مائة** فارس و8 آلاف من متطوعي زواوة وفلما كان حسن بن خير الدين بالقرب من مستغانم بلغه خبر أن السعديين استولوا على تلمسان فحول و جهته من وهران إلى ملاقاة السعديين الذين احتلوا مستغانم وتقدموا نحو نهر الشلف فالتقى الجيش الجزائري بقيادة حسان قورصو بالجيش السعدي، لكن قوات الشريف السعدي سرعان ما انهارت وتراجعت فا ستغل هذا لصالح الجزائريين فاستعادوا مستغانم وتقدموا صوب تلمسان فأرسل محمد الشيخ مدد من ألف رجل والتقى الجيشان مرة أخرى بالقرب من قبة سيدي موسى انتهت المعركة بهزيمة الجيش المغربي ومقتل الشريف عبد القادر ابن السلطان المغربي وانسحب الجيش إلى ما وراء ملوية[2]، ومن فوره دخل الجيش الجزائري تلمسان[3] .

[1]- أنظر ملحق رقم: (01).

[2]- أنظر ملحق رقم: (05).

[3]- المدني، مرجع سابق، ص329.

إن السبب الذي جعل الشريف السعدي يقدم على مثل هذه الخطوة من غـــزو أراضـــي المغرب الأوسط واحتلال تلمسان ثم طرده عنها إنما جاء من عزمه على طرد العثمانيين من الجزائر وتلبية طلب كبار التلمسانيين في فاس [1].

في خطوة لتحسين العلاقات بين إيالة الجزائر والفاسيين سنة 1553م بعد واقعة تلمسان أرسل السلطان العثماني فرمانا إلى إيالة الجزائر يأمر فيه بإيفاد وفد و كان الشيخ أبي عبـــد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي من أصل جزائري على رأس هذه البعثـــة، فـــدخلوا على السلطان المغربي بمراكش و فاوضوه باسم السلطان العثماني ضمن شروط من ضمنها الاعتراف بالسلطان العثماني مقابل عدم التدخل في الشؤون الداخلية للمغرب الأقصى و جمع كلمة المسلمين والدعاء للسلطان العثماني في منابر المغرب وإطلاق سراح الأسرى من بني وطاس وتحديد الحدود بين الجزائر و المغرب الأقصى، لكن ملك المغـــرب رفـــض كـــل الشروط وطلبات السلطان العثماني ولم يقر إلا بمسألة الحدود حيث تم تحديدها[2].

ب.مقتل الشريف محمد المهدي:

لما بلغ السلطان العثماني خبر انقراض دولة الوطاسيين أرسل رسولا إلى محمد الشيخ يهنئه بالملك و يلتمس منه الدعاء له على منابر المغرب، فلما بلغ الرسول العثماني مـــراكش انزله سلطان المغرب أبي عبد الله الشيخ على كبير الأتراك وكان من الأتراك الذين انضموا له بعد سقوط فاس في يده بعد انقراض دولة الوطاسيين فجعلهم جنده وسماهم اليكشاري[3] أي العسكر الجديد، فلما اطلع السلطان على الكتب وجد به عرض من السلطان يتضمن الدعاء له و صك العملة باسمه، فانزعج و عاتب الرسول و انتهره، فخرج الرسول من عنده مـــذعورا وركب البحر إلى اسطنبول، ولما بلغ السلطان العثماني ما كان، أراد أن يرسل حملة للمغرب لكن الصدر الأعظم راجعه خوفا من أن يستغل الأسبان ذلك، ولعل هذا من ضمن الأسباب،

---

[1]– سامح عزيز ألتر، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا، تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان،1989م، ص178.

[2]- المدني، مرجع سابق، ص 331.

[3]- إن أصل اللفظ الإنكشارية، لكن محمد السعدي غير هذا اللفظ وعدله.

فقد ذكر الأستاذ أحمد توفيق المدني سببا لاغتيال الشيخ السعدي ."...لكن شـوكة الشـريف السعدي الذي اشتد أمره و قوى ساعده بمراكش ، كانت تؤلم جنوب الجزائـريين وتقـض مضاجعهم و خاصة بعد أن نصبوا أبا حسون بفاس تحت حمايتهم و بطش به الشريف بطشة جبارة عاتية، فكيف يتصرفون وهم لا يعرفون ماذا سيكون موقف الشريف منهم" ومـا أكـد خوفهم إقدام السلطان المغربي على مفاوضة الأسبان قصد الوصول إلى اتفاق حربي سياسي ضد دولة الجزائر للقضاء عليها و تقسيم أملاكها بينهما، فكان هذا الاتفاق سنة 1555م [1].

فبدل أن يرسل السلطان العثماني عمارة بحرية تم إرسال 12رجلا وبذل لهم 12 ألـف دينار واتصلوا سرا بصالح الكاهية كبير عسكر الشيخ ووعدوه بالمال ، ثم وفدوا إلى الجزائر واشتروا ما يلزمهم لسفرهم إلى مراكش حتى دخلوا في حضرة السلطان في فاس، فقـدّمهم صالح كبير الأتراك للسلطان و زينهم له في الكلام وأوهموه بأنهم فروا من جنـد الجزائـر فضمهم إلى جيشه وحرسه الخاص من الأتراك ومكثوا فترة من الزمن عنده، فلما خرج إلى موضع يقال له آكلكال بظاهر تارودانت[2] في نهاية 964ه الموافق ل 23 أكتـوبر 1557م، فانتظروا الفرصة المناسب بعد خروجه من خيمته لمشاهدة المناورات العسكرية ولمـا هـم بالرجوع إلى خيمته وقع على الأرض بسبب اصطدام قدميه بحبل الخيمة، فأسـرع صـالح الكاهية إليه وقطع رأسه بشاقورة وفصل رأسه عن جسده ووضعه في كيس وقتل الأتـراك جميع حراس الشريف بالخيمة التي نصبت على ربوة فوق المعسكر وأخذوا خيول الحـراس وتحصنوا بحصن تارودانت بعد أن احتلوها وتحصنوا بها لكن محمد الغالب ابـن السـلطان المغتال هاجم الحصن وحاصره لكن احد اليهود غدر بالأتراك وفتح أبواب الحصن ووقع بين الطرفين قتال ولم ينج من الأتراك إلا القليل وقتل من جند الغالب ألـف ومـائتين جنـدي، استطاع صالح الكاهية ومن معه من القلة الناجية من بلوغ الجزائر و ركبوا البحر وسـلموا

[1] - المدني، مرجع سابق، ص360.

[2] - أنظر ملحق رقم : (05).

الرأس للسلطان العثماني فأمر بتعليقه على أبواب القلعة في شبكة من النحـــاس، وقـــد قتـــل سلطان المغرب يوم الأربعاء 29 ذي الحجة سنة 964ه-1557م.[1]

بعد مقتل محمد الشيخ أراد حسن بن خير الدين باشا استغلال الفوضى في فاس فتقـــدم نحو واد اللبن لملاحقة فلول السعديين الهاربين من تلمسان كما ذكرنا، لكنه اصطدم مع قوات محمد الغالب المؤلفة من أربعة ألاف خيال، كان القتال خلال اليوم الأول شديدا ضاريا، ولم يعرف المنتصر من المنهزم من الجانبين ومع انسدال الليل قام حسن باشا بتحصين مواقعـــه وتحكيمها جيدا، وكان مدركا أن قواته إن واصلت ستنهار، وإن انهارت سيكون ملاحق مـــن الأسبان في وهران وربما يقطعون عنه طريق الرجعة وكذلك جيش السعديين ، فقام بخطـــة جريئة فأشعل النار في مخيمه في الليل كأن المخيم في حالته الطبيعية وانسحب فـــي ظـــلام الليل فأرسل الفرسان نحو تلمسان وأنزل الإنكشارية[2] مع المدفعية بحرا حيث كان الأسطول منتظرا.

ج. لجوء احمد المنصور و أخيه إلى الجزائر و استنجادهم بالسلطان العثماني:

لقد كان من أولاد محمد الشيخ عبد الله الغالب و عبد الملك المعتصم و أحمد المنصور، ولما توفي سلطان السعديين عبد الله الغالب في 27 رمضـــان ســـنة 981ه-1573م بأزمـــة صدرية، سلب ابنه محمد المتوكل العرش من عميه احمد و عبد الملك [3]، وقد كان مقيمـــين بسجلماسة منذ زمن والدهم فلما تولى أخيهم الغالب زمام الحكم فرا إلى تلمسان وبقيا فيها مدة من الزمن خوفا على حياتهما خاصة بعدما قتل أولاد عمه الأعرج و أولاد عمه أبـــو ســـعيد عثمان [4].

فلما حكم المتوكل أرادوا الحكم وهم بتلمسان ولا سبيل لهم في ذلك إلا بجيش يـــدخلهم إلى سدة الحكم، قال صاحب الاستقصاء: "...فلما توفي وولي الأمر بعده ابنه الغالب بالله فر

[1]- الناصري، مرجع سابق، ج5، ص35.

[2]- أنظر ملحق رقم: (07)،(08).

[3] - ألتر، مرجع سابق، ص204.

[4]- التازي، مرجع سابق، ص9.

عبد الملك وأحمد إلى تلمسان خوفا على أنفسهما منه، فأقاما عند صاحبها حسن بن خير الدين مدة ولحق بهما أخوهما عبد المؤمن فصاروا ثلاثة ...ثم انتقلوا بعد ذلك إلى الجزائر، ومنها ركبا عبد الملك البحر إلى القسطنطينية منطرحا على صاحبها السلطان سليم بن سليمان العثماني رحمه الله، فأمده بالجند حتى ملك المغرب"[1].

كانت وفادتهما على السلطان سنة 1574م وطلب من السلطان العثماني سليم الثاني بأن يمنحهما المدد لكنه تأخر عن ذلك لانشغال أسطول الجزائر وطرابلس والسلطنة بفتح تونس، فلما تم فتح تونس، أرسل السلطان العثماني[2]معه مدد من الجزائر، " ...و كتب لهما فرمانا لدولتي صاحب الجزائر ليبعث معهما خمسة آلاف من عسكر الترك تطأ معهما أرض المغرب الأقصى."، فأشترط عليهم الديوان بأن المال سيكون من عند الأخويين أحمد و عبد الملك والرجال سيكون من جند الجزائر، فأقترض الأخوين من إيالة الجزائر مالا لتمويل الحملة[3].

يذكر صاحب النزهة في قضية الاقتراض وطلب الأخوين للمال: "...فجاء عبد الملك مع أمه بكتاب السلطان إلى أهل الجزائر يأمرهم بالمسير معه إلى تملك ما كان بيد أبائه، فطلبه أهل الجزائر بالراتب فقال لهم أسلفوني وعلي الخلاص فاتفق أن يعطيهم عشرة آلاف في كل مرحلة و كان عدد جيش الترك أربعة آلاف، وقال في شرح الدرة أن عبد الملك طلب من ريس الترك أن يعينه بحصة منهم توصله إلى حد بلاده ليدخلها إذ الجند كله جند والده فلا يمكن أن يقاتلوه ويضربوه في وجهه لتعظيمهم إياه فأسعفه على مراده وأرسل معه عصابة وحصة قليلة فأقبل بهم إلى موضع يقال له الركن من أحواز بني وارثين من بوادي مدينة فاس المحروسة..."، فلما سمع محمد المتوكل بقدوم عميه بجيش الترك لقيّهم بجيشه

[1]- الناصري، مرجع سابق، ج5، ص59.

[2]- السلطان العثماني الذي خلف سليم الثاني هو السلطان مراد الثالث (8 رمضان 982ه /22 ديسمبر 1574م – 5جمادى الأول 1003ه/ 16يناير 1595م).

[3]- نفسه ، ج5، ص 63.

لكن أحد قائده على جند الأندلس انقلب عليه وانضم إلى جيش الترك و عمه فهالـــه الأمـــر وأفزعه فتراجع هاربا[1].

فر المتوكل إلى جزيرة بادس و منها إلى لشبونة حيث اجتمع بملك البرتغال "سبســتيان" فأمده بجيش من أفضل الجند وحضر على رأس جيشه ومعه السلطان الهارب فكانت معركة وادي المخازن[2] بالقرب من مدينة القصر الكبير أين فني معظم جيش البرتغال وقتل سبستيان والمتوكل على يد جند أحمد المنصور[3].

بعد الانتصار العظيم الذي أحرزه أبي العباس احمد المنصور أرسل صاحب الجزائـــر رسالة تهنئة وهدايا، ذكر الفشتالي، فقال: "...فكان أولهم ورودا على سدته الشريفة و أبوابه العلية المنيعة رسول صاحب الجزائر لاقترابه فبلغ الرسالة و أدى الهدية وكان فيهـــا مـــن فساطيط الهند الغربية الشكل و الصنعة، وزرابي مبثوثة و طرف نفيسة..."[4].

المطلب الثالث: العلاقات مع الدولة العلوية.

أ. عهد محمد الشريف:

يعود أصل الأشراف العلويين إلى المشرق حيث قدم جدهم الأول إلى المغـــرب ســـنة 664ه وقد لعب هؤلاء دورا بارزا.

ففي الزمن الذي أسس به الأشراف السعديين حكومتهم كانت سجلماسة بأيدي الأشراف الحسنين وبعد وفاة المنصور السعدي استغلوا الفوضى و بدأو يطالبون بزعامـــة، فقـــد قـــام مولاي الشريف بالاستيلاء على الإدارة في حكومة الأشراف الحسنين سنة 1024ه/1632م.

ترك مولاي الشريف الحكومة لابنه محمد فعمد المولى محمد فور توليه الســـلطة إلـــى إخضاع القبائل القريبة منه ومن ثم القبائل الشرقية، فحين لم يتمكن محمد الشريف من فـــاس

---

[1]- الأفراني، مصدر سابق، ص62 .

[2]- أنظر ملحق رقم: (09).

[3]- التازي، مرجع سابق، ج8، ص ص8-9.

[4]- أبي فارس عبد العزيز الفشتالي، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تح: عبد الكريم كريم، د ط، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، المغرب، دس، ص49.

والمغرب صرف عزمه لتمهيد عمائر الصحراء وبلاد الشرق، فجمع القبائل من حوله وأغار على بني يزناسن وكانت هذه القبيلة تحت حكم دولة الجزائر، فنهب الأموال وممتلكات العرب ثم توجه إلى وجده وكانت منقسمة بين مؤيد له و مؤيد لترك فاشتغل أتباعه في الاستيلاء على ممتلكات ممن هم تحت حكم الترك، واستولى على وجدة سنة 1060ه/1650م وتقدم نحو الشرق وغزا القبائل المجاورة والناحية المجاورة لندرومة ثم أغار على تلمسان وعاد إلى وجدة[1] فقضى فيها الشتاء ثم أغار بعد ذلك على قبائل في أطراف الصحراء[2].

يقول صاحب الاستقصاء: " ولما انصرم فصل الشتاء خرج على طريق الصحراء فأغر على الجعافرة ونهب أموالهم، وقدم عليه هنالك محمود شيخ حميان من بني يزيد بن زغبة، وهم اليوم في عداد بني عامر بن زغبة....وقدمت عليه أيضا دخيسة ففرح بهم وأكرمهم ودلوه على الأغواط[3] وعين ماضي والغاسول فنهب تلك القرى واستولى على أموالهم وفرت أمامه عرب الحارث وسويد وحصين من بني مالك بن زغبة، فنزلوا بجبل راشد متحصنين به فرجع عنهم"، فلما بلغ الخبر مسمع باي معسكر[4] أقام تحصينات وبعث بطلب المدد من الجزائر وأرسل الأتراك جيشا إلى تلمسان، لكن المولى محمد انسحب إلى وجدة ومنها إلى سجلماسة بعدما خرب الغرب الجزائري[5].

لما رأى الأتراك ما فعله المولى محمد عزموا على مراسلته لإيقافه عند حده فبعثوا إليه بوفد من كبار القادة الأتراك واثنين من علماء الجزائر وأبلغوه الرسالة فلم يجبهم ثم عادوا إليه وطلبوا منه الرد وذكروه بخصال آل بيت النبي وأن ما فعله تعدي وظلم، فأعطاهم عهدا

[1]- أنظر ملحق رقم: (05).

[2]– الناصري، مصدر سابق، ج7، ص 19.

[3]- أنظر ملحق رقم: (01).

[4]- أنظر نفس ملحق.

[5]- نفسه، ج7، ص20.

وميثاقا بان لا يجتاز إلى الشرق ولا يتعدى حدوده مرة أخرى و كانت الحدود حينها نهر تافنا[1] وتم الاتفاق بين الطرفان سنة 1059ه،1649م[2].

ب. عهد المولى إسماعيل:

بعد وفاة مولى الرشيد حاكم فاس يوم الأربعاء16 ذي الحجة سنة 1082ه/1671م وكان سبب موته أنه ركب فرسا جموحا فانطلق به ولم يتمكن من لجامه فأرتطم بشجرة فأردته قتيلا، فخلفه مولى إسماعيل[3] وكان خليفة له بفاس الجديد فبويع على الساعة الثانية 3 أفريل فعمل على إقامة حكومة قوية[4] وقضى على التمردات الداخلية كتمرد ابن أخيه أحمد بن محرز بن الشريف في مراكش وتمرد شمال فاس سنة 1083ه/1672م، ثم التفت إلى جهة الشرق وأخذ يدعم المتمردين في تلمسان لإثارة الشغب لكن القوات الجزائرية قضت على هذا التمرد[5].

في المقابل وردا على ما فعله مولاي إسماعيل قام الجزائريون بدعم حركات التمرد وإثارة التمردات على حكم إسماعيل وانشغل بمحاولة القضاء على تمرد الدلائيين بقيادة أحمد بن عبد الله الذي حرض البربر على التمرد في مراكش، وابن أخيه، فسعى إلى إسكات الدلائيين بمنحهم عدة مناصب للتفرغ لأبن أخيه في مدينة مراكش وحصاره لكن ابن أخيه تمكن من الفرار إلى السوس 1088ه/1677م، وبعد أن أدرك أن الجزائريين كانوا السبب في إثارة التمردات جهز حملة سنة 1090ه/1679م وزحف بها شرقا وانضمت له عدة قبائل في الطريق حتى وصل نهر الشلف فتصدت له قوة عسكرية من الجزائريين والترك و في أثناء المعركة انسحبت القبائل المرافقة له ولم يبقى معه إلا جيشه فاضطر إلى عقد الصلح ورجوع

---

[1]- التافنة نهر يميل إلى الصغر ينبع من الصحراء ويعبر صحراء أنكاد و يصب في البحر المتوسط مارا على تلمسان بنحو بعد 19 ميلا، الوزان، مصدر سابق، ج2، ص250.

[2]–نفسه، ص22.

[3]- أنظر ملحق رقم: (10).

[4]- الأفراني، مصدر سابق، ص304.

[5]- ألتر، مرجع سابق، ص437.

إلى ما وراء حدوده و أقام على الحدود بين المغرب الأقصى و الجزائر عدة حصون للمراقبة والدفاع [1]، فبعد ذلك تفرغ للقضاء على التمردات الداخلية خاصة ابن أخيه أحمد ابن محرز في منطقة السوس الذي كان متعاون مع الأتراك.

كما قرر مهاجمة الجزائر للمرة الثانية، فاجتاز الحدود و أغار على قبيلة بني عامر الموالية للأتراك ثم عاد إلى مكناس ، لكن الجزائريين ردوا عليه بالمثل فعبروا الحدود وأغاروا على عدة قبائل تابعة لحكم المولى إسماعيل، وفي المقابل كان رده بان قاد جيشه باتجاه تلمسان استغل في ذلك ظروف الهجوم الأوروبي الفرنسي على شرشال وحاصرها وطلب منه أمير الأمراء لإيالة الجزائر الانسحاب والرحيل عن الأرض الجزائرية، وسرعان ما فك الحصار وعاد إلى سوس للقضاء على تمرد ابن أخيه أحمد بن محرز، وبعد مقتل احمد بن محرز في سوس سنة 1096ه/1678م، اشتغل المولى إسماعيل بتنظيم شؤون دولته وتفرغ بعدها للتحالف ضد الجزائر، فحاول الاتفاق مع الفرنسيين فعرض على الملك الفرنسي الزواج من إحدى بنات عائلته بغية الاتفاق مع فرنسا[2]، وحينما لم يتم له هذا الاتفاق قرر الاتفاق مع التونسين باعتبارهم أنهم كانوا في خلاف مع الجزائريين، فاتفق معهم على مهاجمة الجزائر، لكن الداي شعبان علم بالاتفاق فقرر مهاجمة التونسيين و ألحق بهم هزيمة ثم عاد باتجاه الغرب لمواجهة الفاسيين، فقد أرسل سلطان المغرب جيشا من مكناس إلى تلمسان يضم 14ألف جندي مشاة و8آلاف خيال وعدد من المدفعية ولما بلغ وجده علم بقدوم قوة تركية نحوه فانسحب لضياع عنصر المفاجأة وكان الجيش التركي مؤلفا من عشرة ألاف جندي و**ثلاثة** ألاف خيال وعدد من الطوابير الزاحفة واستمر الجيش التركي الجزائري في ملاحقته حتى ملوية أين ألحقوا بجيش المولى إسماعيل هزيمة انتهت بفقدانه خمسة آلاف جندي وفر جيش الفاسيين ولحق بهم الجزائريون حتى أسوار فاس ثم عادوا إلى الجزائر سنة 1693م/ 1104ه محملين بالغنائم وتم معاقبة القبائل التي انضمت للفاسيين وبعد هذه الأحداث

[1]- أبو القاسم الزياني، الترجمان المعرب في أخبار دول مراكش والمغرب، د ط، د.د.ن، د س، ص17.

[2]- ألتر، مرجع سابق، ص440.

أرسل إسماعيل إلى الجزائر وفد مكون من ابنه عبد المالك والمرابطي طيب بن محمد الفاسي لعقد الصلح وتم له ذلك ولكنه كان في نفس منزعجا من الهزيمة التي لحقت به ففي 9 ربيع الأول سنة 1106ه الموافق ل 29 أكتوبر 1694م أوعز لابنه زيدان بمهاجمة الجزائر فأغار على بعض القبائل الحدودية ثم عاد مسرعا، وبعد هذه الأحداث أرسلت الدولة العثمانية من استانبول وفد تطلب من المولى إسماعيل إقامة الصلح مع الجزائر فقبل بذلك ورحب به.

سنة(1699م/1111 ه) قسم الحكم على أولاده فأعطى منطقة تازة[1] لأبنه زيدان فتحرك لمحاربة الجزائر بإيعاز من والده و كان هجومه بالموازاة مع هجوم أمير تونس مراد بك على قسنطينة[2] سنة 1700م، 1112ه[3].

فوصل زيدان إلى معسكر و دخلها و سلب أهلها ونهب دار البيلك وعقد الصلح مع الجزائريين لتهريب ونقل غنائمه إلى بلاده فأثار ذلك غضب والده فعزله لأنه لم يستفد من انتصاره، وخرج بنفسه بجيش كبير و اتفق مع التونسيين لمهاجمة الجزائر واجتمع جيش الفاسين مع التونسين وجيش الداي مصطفى من جهة أخرى في إحدى المناطق الواقعة بين سطيف و قسنطينة بتاريخ 03 أكتوبر 1700م /1112ه، وتمكن الداي مصطفى من إلحاق الهزيمة بالفاسيين و تونسيين إذ أن تعداد جيش الفاسين كان حوالي 50 ألف جندي وقد بدأت المعركة ظهيرة 20 ذي القعدة 1112ه الموافق ل 28 نيسان 1700م، جرح المولى إسماعيل في هذه المعركة وأسر من جيشه 300 جندي و50 قائدا[4].

لما يأس المولى إسماعيل من إمكانية تحقيق أي انتصار على الجزائريين حاول عدة مرات الهجوم على وهران لتحريرها من قبضة الأسبان في الفترة الممتدة من 1107ه-1110ه/1696-1699م فهاجم عدة حصون، كحصن " روزا الكزار"، لكنه فشل بسبب قوة التحصينات الأسبانية وخسارته الفادحة، هذا الأمر كان كفيلا بإثارة ارتياب الأتراك من تدخله

[1]- أنظر ملحق رقم: (05).

[2]- أنظر ملحق رقم: (01).

[3] - ألتر، مرجع سابق، ص440.

[4]– نفسه، ص441.

المستمر في شؤون الجزائر، فقد أرسل السلطان العثماني مصطفى الثاني بن محمد 1106-1114ه/1695-1703م ضمن سفارة عثمانية إلى المولى إسماعيل مؤرخة في 1696م، جاء فيها: "...لقد ورد علينا كتابكم الذي يعبر عن الود و الصداقة المتوارثين فيما بين الأمتين...و أنه حين جلوسنا على العرش، ونحن نقوم بأنفسنا على تقرير قواعد الملة، خدمة لمصالح الأمة ورفعا لراية الجهاد وحماية للثغور الإسلامية، وأننا لن نسمح بقيام المحظورات الشرعية في بلادنا."، ثم أعاد السلطان العثماني مراسلة المولى إسماعيل في رسالة أخرى في 22 شوال 1110ه، 22أفريل 1699م، باللغة التركية جاء فيها: "...أن الجزائر ضمن ممالكنا المحروسة...وإن سكان البلاد وأهلها وحكامها، وجندها منقادة من بعد أجدادنا لنا...وإنه ما تزال توجد مليلية، والبريجة، وسبتة وبادس، وهي تقع في جوار تلمسان، ووهران تريدون أن تحوزوها بأعذار واهية..." [1].

لما فتح الجزائريون وهران بعث المولى إسماعيل رسالة تبريك و تهنئة إلى استانبول[2].

[1]– بن قايد عمر، "أضواء على علاقات الجزائر مع المغرب الأقصى خلال القرن 11ه /17م"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية ، العدد 17، 2012م، ص148

[2]- ألتر، مرجع سابق، ص147.

المبحث الثاني: العلاقات الاقتصادية.

إن أي حرفة أو أي عمل إنتاجي يتطلب وجود مجموعة من الأسواق، ولا يمكن لهذه الأسواق تغطية حاجيات المستهلك مما يستوجب استدراك العجز عبر استجلاب السلع عبر القوافل فقد كانت المغرب تكمل الجزائر بسلعها و العكس صحيح في توافق مستمر للحركة التجارية.

المطلب الأول: العلاقات التجارية.

إن العلاقات التجارية بين الجزائر والمغرب الأقصى لم تكن متعددة بالمقارنة مع الدول الأوروبية، فجل التجارة الجزائرية كانت تتم عبر الموانئ نظرا للمسافة بين القطرين، لكن لا يمكن بأي حال إهمال دور القوافل التجارية التي كانت تمر عبر طرق معينة في القطر الجزائري، ثم تتوجه إلى المغرب الأقصى إما محملة بمنتجات قادمة من إفريقيا أو من المدن الجزائرية، وهذا يدل على أن حجم التبادل التجاري بين القطرين كان منخفض باستثناء المدن الحدودية ك تلمسان و هران، فلقد كانت واحة توات الواقعة في الشرق الجزائري أهم المراكز التجارية لجميع دول المغرب والسودان، كما كان لتجار بني مزاب و ورقلة وبسكرة وقسنطينة الدور الفاعل في التجارة مع المغرب، فسلعهم غالبا ما تتجه إلى فاس ومكناس وتيطوان حاملين معهم الحرير المنسوج والفضة والخردوات وأدوات الزينة و في المقابل يجلبون من سجلماسة المواد الجلدية و الخيول، غالبا ما تتغير طرق القوافل بحسب الظروف ولكن تبقى خطوط النقل للقوافل تنقل من اتجاه الغرب إلى الشرق أو العكس [1].

ذكر ابن بطوطة في كتابه تحفة الناظر أخبار الطرق التجارية خاصة طريق الرابط بين فاس مرورا بتلمسان وصولا إلى مليانة ثم الجزائر إلى بجاية و عنابة، إذ أن هذا الطريق من إحدى الطرق المعروفة في ذلك الزمان و أأمنها [2].

---

[1]- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، د ط، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1972م، ص ص104-105.

[2]- ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة(تحفة الناظر في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار)،تق و تح: محمد عبد المنعم العريان، مر: مصطفى القصاص، ط1، دار إحياء العلوم، بيروت – لبنان، 1987م، ص175.

كان لتلمسان الدور الحيوي في التجارة بين المغرب والجزائر ولا عجب أن أهل تلمسان أكثر ثراء فنجد أن هذه المدينة تمر بها عدة طرق كطريق الساحل الرابط بين المدن الداخلية والطريق الرابط بمكناسه بالمغرب الأقصى ثم فاس ثم تلمسان ثم مازونة ثم مليانة ثم الجزائر ثم قسنطينة ثم عنابة[1].

كما يمر بتلمسان طريق بري داخلي يبدأ من مراكش بالمغرب الأقصى ثم مكناسة ثم فاس ثم تلمسان ثم يتجه بالمحاذاة مع سفوح الأطلس الصحراوي حتى المسيلة ثم نقاوس ثم تبسة.

كما كان للتجار المغاربة في مدينة الجزائر وجود فاعل في المعاملات التجارية، إذ ذكرت الأستاذة عائشة غطاس أن المغاربة كانوا يستحوذون على المرتبة الأولى من مجموع الصفقات التي كان يجريها العنصر المغاربي، إذ تركز نشاطهم في تجارة هامة، كما ذكرت أن مجموعة من التجار المغاربة لم يكونوا مستقرين و إنما كانوا نزلاء في الفنادق مدة المعاملة التجارية و قد توفي عدد منهم في الفنادق[2].

أما في الجانب الجزائري فقد كان للقراصنة الجزائريين حظ هم أيضا في بيع غنائمهم على الموانئ المغربية، فنجد أن هؤلاء كانوا يترددون على ميناء سلا و تيطوان لبيع العبيد والذخيرة ويشتريها منهم المغربة والإنجليز وسمح لهم المغاربة باستعمال موانئهم وهذا يدل على مدى التعاون في المجال التجاري[3].

المعاملات التجارية بين الجزائريين والمغاربة لم تتأثر بالأوضاع السياسية نظرا للطابع الحدود الغير رسمية بين الغرب الجزائري والمغرب الأقصى.

---

[1]- أنظر ملحق رقم : (01).

[2]- عائشة غطاس، " الحرف و الحرفيون في مدينة الجزائر1700-1830م(مقاربة اجتماعية – اقتصادية) "، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية، قسم تاريخ، الجزائر، 2000-2001م، ص40.

[3]– الناصري، مصدر سابق، ج5، ص70.

أ. المواد التجارية المتبادلة:

كانت الجزائر تصدر إلى المغرب السيوف و الأقمشة الهندية و القسنطينية ومواد الصباغ النباتية و الحرير التونسي[1]، كما كان المغرب يصدر إلى الجزائر الصابون والسكر والجلود المدبوغة و النعال المصنوعة من الجلد و الحياك الصوفية و السلاح(السيوف والبنادق) والأنسجة القطنية و الشواشي والأقمشة الحريرية والخيول وتبر الذهب والبخور والنيلة[2]، ومن ضمن السلع التجارية الأسرى فقد كان المغاربة يبيعون الأسرى كعبيد في الجزائر والعكس تفاديا لخرق الاتفاقيات التي تمنع بيع العبيد، كان التيطونيين و السلاوين يبيعون الغنائم و مواشي التي غنموها من السفن في مدينة الجزائر[3].

ب. أهم مراكز التبادل التجاري:

إن تتبع النشاط التجاري في المغرب يؤدي بنا إلى الوقوف على الدور الفعال في الحركة التجارية لبعض الحواضر التي ازدهرت فيها التجارة، والتي تمثل موضع المبادلات التجارية، لعل من أبرز هذه المدن مدينة الجزائر وسلا و تيطوان و بادس على الطريق البحري، أما الطريق البري نجد مدينة فاس وتلمسان و قسنطينة و سجلماسة وغيرها.

1.مدينة الجزائر:

برزت مدينة الجزائر كقوة اقتصادية بالتزامن مع نمو قوتها السياسية و العسكرية ونافست المدن الكبرى وتفوقت عليهم في المجال الاقتصادي، حتى سماها البعض بإسطنبول الصغرى نظرا لاشتغال جل أهلها بالتجارة[4]،بالإضافة إلى ذلك فقد كانت مركزا هاما وللاستيراد والتصدير بين دول الشمال الإفريقي وجنوب أوروبا ومن ضمنها جنوة وصقلية والبندقية وحتى القسطنطينية وانجلترا، فكانت تستورد الحديد والنحاس والأقمشة من إنجلترا

[1] –Diego de Haédo. Topographie et histoire générale d'alger . tr: Monnereau et A. berbrugger.1870. immprimé a Valladolid en .1612. p 54.

[2] - النيلة صبغة نباتية زرقاء اللون، الوزان ، مصدر سابق، ج2، ص120.

[3] - عمار بن خروف،" العلاقات بين الجزائر المغرب"، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص تاريخ، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة دمشق، 1983م، ص319.

[4] - Haédo .Op.cit.p31.

و الفولاذ من فرنسا والألبسة القطنية من إسبانيا والمواد الصباغة والعطور من المدن الإيطالية و الأخشاب والصابون والحرير، بدورها تصدر إلى أوروبا الصوف و الجلود والشمع والتمر والغنائم عبر ميناء سلا وتيطوان، وكانت مقصدا للتجار المغاربة القادمين من سلا و أصيلا والعرائش..[1].

2. المبادلات مع تيطوان:

تمثل تيطوان احد أهم المراكز التجارية بين الجزائر و المغرب، فقد اشترى خير الدين سنة 1531م من هذه المدينة الحبوب لتغطية العجز في مدينة الجزائر، كما كان التجار الجزائريين يتوجهون بسفنهم إلى المغرب ويرسون بهذا الميناء الهام الذي كان منفذا لشمال المغرب بعد احتلال المدن الساحلية كسبتة وطنجة ومليلية، ومن خلاله تمكن المغاربة من بيع منتجاتهم من عسل وسكر وصابون للجزائريين[2]، ومثّل هذا الميناء محطة هامة لقراصنة الجزائر لتزود بالمؤن لغرض الغزو[3].

3. المبادلات مع تلمسان:

مثلت تلمسان القلب النابض للتجارة الجزائرية في الغرب خاصة مع المغرب، لذا تعتبر محطة دولية تجارية تربط بين شمال إفريقيا و بلاد السودان، فقبل بزوغ نجم مدينة الجزائر كانت لها علاقات كثيرة مع مدن المغرب كتازة و فاس و سجلماسة ودرعه و فجيج، فناحية تازة كان تجار تلمسان يتوجهون بتجارتهم وكانت مدينة تلمسان تمون مدن بعيدة جدا بسلع وفي المقابل تصدر تازه إلى تلمسان الصوف والحبوب والماشية وتستورد من فجيج[4] المنسوجات ومن سجلماسة و درعة ما تحتاج من جلود و النيلة[5]، ومن مزايا الموقع الإستراتيجي لتلمسان أنها مثلت حلقة وصل بين الشرق والغرب، فلا بد أن تمر قوافل

[1]- بن خروف، مرجع سابق، ص324.

[2]- نفسه، ص325.

[3]- مارمول، مرجع سابق، ج2، ص233.

[4]- أنظر ملحق رقم: (05).

[5]- الوزان، مصدر سابق، ج2، ص132.

السودان التجارية عبرها وخاصة المتوجهة إلى المغرب أو المتوجهة من تلمسان إلى طريق الصحراء المؤدية نحو تكنتورين[1]، فقد ذكر حسن الوزان أن أهل تكنتورين كانوا يشترون من تجار فاس وتلمسان الشحم والملح[2]، لكن تلمسان أخذت في التراجع في النصف الأول من القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي بسبب سيطرت الأسبان على منافذها البحرية[3].

4. المبادلات مع سلا:

نمت هذه المدينة بفضل الأندلسيين،نشأت العلاقات بينها وبين الجزائر في إطار الجاهد والغزو البحري، فقد كانت هذه المدينة سوق لبيع الغنائم من طرف الجزائريين كما كان السلاويين يبيعون منتجاتهم في الجزائر، وفي العهد الذي خضعت فيه سلا للدلائيين(1051-1074ه/1641-1664م) وتولى الإمارة فيها الأمير الدلائي عبد الله بن محمد الحاج الحكم في الفترة الممتدة (1061ه-1074ه/1615-1661م) أقام تجارة نشطة مع الجزائر في الاتجاهين بالإضافة مرورا بالطريق البري والبحري الذي يربط المغرب بتلمسان ومعسكر و الجزائر وصولا إلى تونس عبر التراب الجزائري[4].

المطلب الثاني: الصناعات والحرف.

يعتبر النشاط الحرفي في القطر المغاربي من النشاطات الغالبة و الأكثر ممارسة في العصر الحديث ، مما جعل التنوع عاملا حتميا، ولبعض الحرف في المغرب الأقصى والمغرب الأوسط طابع مميز يميز الحرف المغاربية عن غيرها من الحرف المشرقية أو الأوروبية، إذ أن نمط هذه الحرف تتشابه بين القطرين وقد تتخذ اليد الحرفية نفس الأسلوب في صناعة المنتج، نجد هذا التشابه بين الجزائر والمغرب الأقصى في المناطق الغربية للقطر الجزائري، كمدينة تلمسان ووهران وحتى وجدة.

[1]- بن خروف، مرجع سابق، ص328.

[2]- الوزان، مصدر سابق، ج2، ص133.

[3]- المدني، مرجع سابق، ص100-102.

[4]- بن خروف، مرجع نفسه، ص327.

لعل ما زاد تنوع الحرف وجودتها هو العامل البشري واليد العاملة الخبيرة ونقصد هنا الأندلسيين الذين وفدوا على المغرب العربي حاملين معهم الطابع الفني ذاتـــه فـــي انجـــاز الحرف.

فنجد على سبيل المثال فن الزخرفة والنحت على الجص أصبح أكثر جودة مما كـــان عليه وقام الحرفيون بإنجاز العديد من التحف التي لا تزال ماثلة حتى الآن[1].

أما في ما يخص حرف النسيج فقبل الفتح الإسلامي عرف المغاربة هذه الحرف خاصة فيما يتعلق صناعة الزرابي، إذا كان الأمازيغ لهم طابع مميز في الرسم على الزرابي ولكـــن يوجد تشابه في إعداد المواد الأولية للعمل الحرفي عبر خطوات معينة، كاستجلاب الصوف أو شرائه ثم غسله وتنقيته وتحويله إلى خيوط ثم حياكته بآلة النسيج، وغالبا ما تقوم المـــرأة الأمازيغية بحياكة هذا المنتج في بيتها و يتكفل الرجال في العادة ببيعه[2]، وهذا مازال شـــائعا إلى هذا العصر رغم تراجعه.

كما لا يختلف بين القطرين طريقة نسيج اللباس في شكله فقد اشتهر الغرب الجزائري والقطر المغربي بلبس العباءة الشبيهة بالقلنسوة الايطالية المنسوجة من الوبر أو من الخيوط الناعمة الرفيعة، حتى في صناعة السروج والأحذية الجلدية الراقية كما نجد أيضا تشابها في صناعة الخزفيات و النقش على الأواني النحاسية التي تستعمل فـــي الزينـــة وحتـــى فـــي المستلزمات اليومية[3].

[1]- الوزان، مصدر سابق، ج2، ص131.

[2]- نفسه، ج2، ص132.

[3]- سبنسر، مرجع سابق، ص29.

لقد تباينت العلاقات السياسية والاقتصادية بين الجزائر والمغرب عبر المراحل السياسية، فكانت توجهات الوطاسيين توجه سلمي يطمح لتوحيد الجهود في مواجهة الأطماع الأجنبية.

أما في العهد السعدي فقد أثر محمد الشيخ السعدي بأطماعه التوسعية على العلاقات الحسنة ووظف الأغراض الشخصية على حساب المصلحة المشتركة بين المسلمين، فقد كانت نظرته للوجود العثماني في الجزائر نظرة عدائية واعتبرها احتلال وجب شن الحملات عليه وذريعة لشن حملاته لتحقيق أطماعه.

أما في العهد العلوي فقد استهلها العلويين بالتوسع على حساب القطر الجزائري في عهد الرشيد أملا في اكتساب أرض جديدة خاصة وأن المغرب الأقصى كان يشهد صراعا داخليا، ورغم ذلك أكد حكام الجزائر مرارا على ضرورة إقامة علاقات سلمية من خلال التفاوض، أما في عهد المولى إسماعيل فكان موقف الجزائر موقف دفاع ضد الحملات المغربية المتتالية، وبمجرد انتهاء عهد إسماعيل تراجعت حدة التوتر بين البلدين.

أما في الجانب الاقتصادي فقد أسهمت عدة موانئ في تعزيز الروابط التجارية بين البلدين ونذكر ميناء مدينة سلا فكانت منفذ على المغرب، كما هو الحال لتلمسان على الطريق البري.

الفصل الثالث:

العلاقات الاجتماعية والثقافية.

المبحث الأول : مظاهر العلاقات الاجتماعية

المطلب الأول: الروابط العرقية.

المطلب الثاني: الهجرة و الاستقرار.

المطلب الثالث: العادات و التقاليد المشتركة.

المبحث الثاني: مظاهر العلاقات الثقافية.

المطلب الأول: التقارب الفكري بين علماء الجزائر و المغرب.

المطلب الثاني: أهم الحواضر العلمية.

المطلب الثالث: الإجازات العلمية.

يوجد بين المغرب الأقصى و الجزائر العديد من الروابط وأبرزها الروابط الاجتماعية التي ساعدت على تخطي العديد من الخلافات السياسية ومنحت العلاقة بعدا أخويا بعيد عن التنافس، فبين الشعبين صلة قرابة ليست وليدة مدة قصيرة إنما قديمة، وحتى للمصاهرة دلالة على اللحمة والأخوة في الدين ووحدة التاريخ المشترك، فمن عدة نواحي يوجد تطابق خاصة في العادات والتقاليد و حتى الأصول العرقية التي اكتسبت من العرب الذين هاجروا إلى الشمال الإفريقي وشكلوا مجتمعات جديدة اندمجت مع مرور الزمن في وسط السكان الأصليين.

لا ريب أن يمتد هذا التعاون الوثيق إلى أكثر من ذلك فيشمل الجانب الثقافي فيحصل تبادل بين علماء البلدين في النواحي الفكرية، فيتتلمذ الطالب الجزائري عند الأستاذ المغربي أو العكس، فقد زودت الجزائر المغرب الأقصى بالعلماء وكذلك ساهمت الحواضر العلمية المغربية بتكوين العلماء الجزائريين وهاجر بدورهم المغاربة إلى الجزائر للأخذ عن العلماء الذين بقوا في الجزائر أو عادوا إليها في نهاية مشوارهم العلمي.

المبحث الأول: مظاهر العلاقات الاجتماعية.

يوجد بين الجزائر والمغرب العديد من الروابط و الصلاة الاجتماعية التي صنعت انسجام تاريخي ورسخت الأخوة بين البلدين بعيدا عن الفواصل السياسية و الجغرافية

المطلب الأول: الروابط العرقية.

إن القطر المغاربي بصفة عامة والأوسط والأقصى بصفة خاصة عبارة عن مزيج من الأجناس المتصاهرة والمندمجة فيما بينها منذ القدم عبر عوامل تاريخية عدة. من ضمنها تعاقب الحضارات الغازية لهذه الأرض مرورا بالوجود الروماني الذي ألحق شمال إفريقيا بإمبراطوريته وسمح للجنود الرومان بالاستيطان في المغرب الأوسط والأقصى زمنا طويلا كان كفيلا باندماج السكان الأصليين من الأمازيغ مع العنصر الغازي في بعض الحالة التي اعتنقت المسيحية وحتى بعد انهيار الحضارة الرومانية وحلول محلها الغزو الوندالي ثم البيزنطي، إلا انه لم يؤثر كثيرا في التركيبة السكانية إذ أن العنصر الأوربي كان قليلا بالمقارنة مع العنصر العربي الذي استوطن شمال إفريقيا من ليبيا شرقا حتى المحيط الأطلسي[1].

ونظرا لطبيعة المعاملة السلمية بين المسلمين و الأمازيغ، بعد دخول الأمازيغ في الإسلام هذا أوجد مزيجا من المولدين.

كما أن العنصر الأصلي من الأمازيغ كان ينتشر في كامل شمال إفريقيا عرف بالعنصر للنوميدي ذات الروابط القوية فيما بينه إذ أن عنصر اللغة كان سمة حاسمة في تحديد النطاق الجغرافي لهذا العنصر.

وبهجرة قبائل العرب إلى المغرب بكثرة استولوا على السهول وانتزعوها من الأمازيغ تدريجيا إذ توسعت فروع قبائل العرب في المغرب الأوسط وصولا إلى المغرب الأقصى حتى غلبة لغة العرب على أهل المغرب و انصهر العرب بالبربر فأصبح

[1]- الوزان، مصدر سابق، ج1، ص46.

العرب يعرفون بالعرب المستعجمة فعرب المغرب الأقصى والأوسط إنما أصلهم واحد فأجدادهم من دخلوا إفريقيا إلى ثلاث قبائل .

حكيم وهلال ومعقل، وتنقسم حكيم إلى ثلاث فروع كبرى:أثبج، وسميت وسعيد وتتفرع أثبج إلى ثلاث فروع صغرى: دلاج والمنتفق وصبيح.

أما بني هلال تتفرع إلى بني عامر ورياح وسفيان وهوزان ويتفرع بنو عامر إلى عروة وعقبة وهبرة ومسلم، وتتفرع رياح إلى دواودة وسويد وأسجع وحارث والنضر وكرفة.

وأما معقل فروعها ثلاثة: مختار وعثمان وحسان تشتمل مختار على روحة وسليم وعثمان وعلى حاسن وكنانة، وحسان على ذوي حسان، وذوي عبيد الله، وذو حسان على دليم والأوداية والبرابش والرحامنة وأحمر، وتتفرع هذه القبائل إلى فروع كثيرة.

فقد استقرت أثبج في دكالة و سهول تادلا و قبيلة دلاج في تخوم بجاية وصبيح في تخوم مملكة الجزائر و بنوعامر بتخوم تلمسان وعروة بضواحي مستغانم وعقبة بضواحي مليانة ومسلم بمفازة المسيلة ، فأصل عرب المغرب و احد [1]، فانصهر العرب بالأمازيغ فأصبحوا أمة واحدة وغلبة لغتهم على السكان الأصليين.

المطلب الثاني: الهجرة والاستقرار.

تعتبر الهجرة من بين أبرز المظاهر والروابط التي ساهمت في تمتين العلاقات بين البلدين، وماساهم في ذلك غياب القيود السياسية والحدود التي قد تحد من ظاهرة الهجرة، ويمكن اعتبار أن القطرين المغربي والجزائري كان قطر واحد لا تميزه إلا نظم الحكم المختلفة.

كان أهل الجزائر وتجارها وعلمائها يقصدون المغرب الأقصى لمزاولة أعمالهم وكأنهم في بلدهم الثاني وهو نفس الشعور لدى المغاربة .

[1] – الوزان، مصدر سابق، ج1، ص ص48-51.

هذا ما كان جليا في مجال طلب العلم عند العلماء، فقد سجلت لنا كتب التاريخ العديد من علماء الجزائر الذين كانوا يقصدون المغرب لتلقي العلوم في جامع القرويين والتدريس به كالعالم سيدي أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الله الواحد بن علي الونشريسي الذي أخذ العلم عن علماء تلمسان في بلده لكنه ارتحل من المدينة بسبب خلاف وقع بينه وبين سلطان تلمسان ففر إلى مدينة فاس واستوطن بها [1].

كما نجد أيضا العلامة عبد الله الوريأجلي الذي سافر إلى تلمسان لأخذ العلم عن الشيخ ابن مرزوق [2] وأحمد بن محمد بن عيسى البرنوسي الفاسي الشهير بالزروق الذي هاجر إلى المغرب في القرن 09ه/15م. كما نجد في كتب السير لابن عساكر والبستان لابن مريم ذكر العديد من علماء المغرب الذين هاجروا إلى الجزائر واستوطنوا بها قصد تحصيل العلم و كذلك الجزائريين الذين هاجروا إلى المغرب. لكن ما لم تشير إليه المصادر عدد المهاجرين ولا تفاصيل كثيرة خارج إطار البحث العلمي واكتفت بالإشارة إلى المدن التي حلوا بها، ولعل أبرز المدن التي نزل بها هؤلاء بصفة ظرفية، نذكر مدينة فاس ومراكش وتيطوان و سجلماسة و تادرودانت في المغرب وتلمسان ومدينة الجزائر و قسنطينة في الجزائر، هذا الأمر كفيل في خلق المزيد من الروابط والانسجام بين المغاربة والجزائريين[3].

كما أن علماء الجزائر في فاس كانت لهم وجاهة و مكانة كفلت لهم الاحترام وتولي العديد من المناصب ومن ذلك توليت محمد الشيخ السعدي للتلمسانيين بعدما دخل فاس.

---

[1] – أبي عبد الله محمد بن محمد ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مر: ابن أبي شنب، د ط، المطبعة الثعالبية، الجزائر العاصمة،1908م، ص54.

[2] – محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح: محمد حجي، ط2، دار المغرب للتأليف والترجمة و النشر، الرباط- المغرب، 1997م،.ص30.

[3] – بن خروف، مرجع سابق، ص365.

سجلت لنا العديد من المؤلفات التاريخية العديد من المواقف الطيبة التي تدل على التعاطف والتضامن بين المغاربة والجزائريين خاصة في رحلات القوافل إلى المشرق الإسلامي[1].

أما عن الذين هاجرو من بلدهم الأصلي واستقروا سواء بالجزائر أو بالمغرب الأقصى ولو ظرفيا، فقد اندمجوا في هذا النسيج الاجتماعي الجديد ومن بين مظاهر الانسجام المصاهرات التي تحدث بين العامة من التجار والعلماء، ونذكر في هذا الموضع مصاهرة الطالب الجزائري أبي المهدي عيسى الثعالبي لأستاذه علي بن عبد الواحد السجلماسي المغربي، ثم رجع إلى الجزائر مع أسرته في النصف الأول من القرن 16م.

عند الحديث عن المصاهرة ذات الطابع السياسي بين فئة الحكام فنجد عدة نماذج، كزواج بعض الأمراء الوطاسيين والسعديين من بنات حكام الجزائر خاصة بعد لجوء الأمراء إلى الجزائر، كالأمير الوطاسي أبي بكر بن السلطان أحمد الوطاسي الذي تزوج بعد لجوئه إلى الجزائر من ابنة صالح رايس بيلرباي الجزائر (1552-1556م)، وقد حاول صالح ريس تنصيب صهره حاكما على فاس لكن الفاسيين رفضوا ذلك وارتضوا بالأمير أبي حسون، ونذكر أيضا عبد المؤمن بن محمد الشيخ السعدي الذي تزوج ابنة حسن بن خير الدين بيلرباي الجزائر فولاه حسن بن خير الدين على تلمسان فحكمها إلى أن اغتيل وأيضا عبد الملك بن محمد الشيخ السعدي الذي تزوج من ابنة حاجي مراد الذي كان من كبار القوم في الجزائر ورجل من رجال السياسة في النصف الثاني من القرن السادس عشر ميلادي[2].

الهدف من هذه المصاهرات إنما كان لربط العلاقات وجعلها متينة و لزرع الثقة بين حكام الجزائر و المغرب الأقصى.

[1] – الوزان، مصدر سابق، ص70.

[2] – بن خروف، مرجع سابق، ص364.

المطلب الثالث: العادات والتقاليد المشتركة.

إن أصل سكان المغرب العربي من المغاربة و الجزائريين من أصل واحد مزيج مركب في غالبه من الأمازيغ والعرب، لم تفصل بينهم إلا نظم الحكم المختلفة والأنماط السياسية، فالروابط الاجتماعية كثيرة جدا لا يمكننا حصرها بل نكتفي بذكر ما وصلت إليه أيدينا.

أ- الاهتمام بتربية النشأ:

إن سر قوة المسلمين في تمكنهم من رد العدوان الإسباني والبرتغالي وتفادي الانحلال الخلقي الذي حاول النصارى من خلاله استهداف المسلمين، هو اهتمام المسلمين بتعليم أبنائهم أصول الدين الإسلامي.

لقد أحصى الوزان في كتابه وصف إفريقيا بمدينة فاس ما يقارب مائتي مدرسة لتعليم القراءة وحفظ القرآن، فقد كانت أنجع وسيلة في تحفيظ الفتيان الكتابة على ألواح يكتب عليها بالصمغ وتمحى بالصلصال من الطين، إذ يتلقى التلاميذ على أستاذهم أصول القرآن فيحفظون كل يوم ما تيسر منه وقبل تعلم الكاتبة يكتفي الأستاذ بالتلقين من السور القصار[1]، وفي مقابل هذا الجهد الذي يبذله الأستاذ يمنح له أجر زهيد ويجزى له بالهدايا في كل ختمه يختمها طفل ومن عادة أهل المغرب أن الفتى إذا حفظ كتاب الله يحتف به احتفاء كبيرا و تقام وليمة ويهدى للأستاذ كسوة، ومن العادات أيضا أن الأستاذ يستقدم من المنشدين من هو حسن الصوت فينشد في المولد النبوي حتى مطلع الفجر[2].

ب- عادات الزواج:

من العادات أن الرجل إذا أراد الزواج يبلغ والده و بدوره يبلغ والد المخطوبة، فيجتمع جماعة في المسجد ويحضر معهم عدلنا يكتبان العقد ويحددان شروط الصداق

[1] - الوزان، مصدر سابق، ج1، ص262.

[2] – نفسه، ص262.

بحضور الخاطب و المخطوبة، ويقدم الخاطب لخطيبته صداقا ثلاثين مثقالا نقدا وجارية سوداء قيمتها خمسة عشر مثقالا و قماش من الحرير والكتان ذات الألوان المتنوعة، ويقدم لها زوج أحذية مطرزا وزوجين من القبقاب المطرزة وحلي من الفضة والأمشاط والعطور والمراوح، ويعقد القران بالرضا[1].

نجد هذه العادات أيضا في مدينة الجزائر فيشمل الصداق على الصوف و الأفراد والقفطان و الغليلة و الحايك والحزام والجواهر والإماء بالإضافة إلى المبلغ النقدي الذي يختلف بتفاوت المستوى المعيشي، وغالبا ما تكون الإيماء من رقيق السودان[2]، ويقام موكب لاستقدام الزوجة إلى بيت زوجها، فيدخلها في صندوق من خشب مثمن الأضلاع ومغطى بأوشحة الحرير ومزين ويحمل هذا الصندوق كهودج فوق رؤوس الرجال، ويرافق هذا الموكب أفراد العائلة وتزف العروس تحت وقع الأهازيج والأغاني والمزامير والطبول والمشاعل ويمر هذا الموكب بالسوق ويسلم الوالد إبنته لزوجها ومعه خالها، تقام بعد هذه الزفة أفراح وتنصب الموائد وتعلن الأفراح وفق ما يسمح به الشرع الإسلامي، وقد تذبح العجول والخراف لهذه المأدبة التي يدعى لها القريب من العائلة والأصدقاء[3].

ج- عادات متعلقة بالطعام:

تأثر المغاربة وخاصة من ذوي الأصول البدوية بعادات أجدادهم في طريقة تناول الطعام، فمن عادتهم أن يأكلوا اللحوم الطرية مرتين في الأسبوع ويتناولون ثلاث وجبات في اليوم، وجبة خفيفة صباحا من الخبز وحساء من دقيق القمح وعلى الظهر أكل خفيف ك الخبز والسلطة والجبن أو الزيتون وفي المساء تكون الوجبة خفيفة من الفواكه، أما في فصل الشتاء فيأكلون الكسكس المطبوخ على الماء المغلي فتوضع قدر

[1] – الوزان، مصدر سابق، ج1، ص254.

[2] – غطاس، مرجع سابق، ص447.

[3] – الوزان، مصدر نفسه، ج1، ص ص254- 257.

من الماء وتوضع فوق القدر الأولى قدر ذات ثقوب تسمح بتسرب البخار إلى الكسكس ثم بعد نضجه يدهن بالسمن و يسقى بالمرق، ومن العادات أيضا تناول الطعام على الأرض فوق موائد منخفضة و يستعملون أيديهم في ذلك، وقد يجتمع عدد على صحن واحد، لكن الأغنياء أفضل حال ويسرا في معيشتهم[1].

[1] – الوزان، مصدر سابق، ج1، ص252.

المبحث الثاني: مظاهر العلاقات الثقافية.

احتل العلماء المغاربة منذ العهود الإسلامية الأولى مكانة مرموقة في المشرق والمغرب، فتميزوا عن سائر العلماء وقدموا الكثير للعالم الإسلامي في شتى المجالات وقد استفادت الجزائر و المغرب من هذا التبادل وانعكس ذلك على الجانب الثقافي، فكان الإنتاج العلمي في بلاد المغرب ثريا متنوعا شجع على تبادل المعارف .

المطلب الأول: التقارب الفكري بين علماء الجزائر والمغرب.

سجلت لنا كتب السير والتراجم جانبا من جوانب التقارب الفكري بين علماء الجزائر والمغرب، فقد كانت عدة حواضر في المغرب الأقصى مراكز هامة يقصدها الطلبة الجزائريين والأساتذة والمشايخ للتعلم وأخذ الإجازة وتصدر مجالس التدريس خاصة بجامع القرويين بفاس، ومن أقرب نقطة في الغرب الجزائري للمغرب الأقصى كان التلمسانيين يعبرون إلى فاس للغرض ذاته وكذلك يعبر المغاربة إلى الشرق وبضبط إلى تلمسان وعدة مدن جزائرية للأخذ والإجازات العلمية من علماء تلمسان[1].

من علماء المغرب الذين وفدوا إلى الجزائر نذكر:

1. **محمد بن علي الحاجّ الشطيبي:** هو أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن محمد الأندلسي المعروف بالحاج إبراهيم بقبيلة بني زروال ولد سنة(882ه/1470م)، هاجر إلى المشرق والجزائر وأخذ العلم عن الشيخ أبي العباس أحمد بن يوسف الملياني المدفون بمليانة، كما له العديد من المؤلفات بن علي بن أحمد بن محمد الأندلسي المعروف بالحاج إبراهيم بقبيلة بني زروال ولد سنة 882ه/1470م، هاجر إلى المشرق والجزائر وأخذ العلم عن الشيخ أبي العباس

[1] –بن عسكر، مصدر سابق، ص 2.

أحمد بن يوسف الملياني المدفون بمليانة، كما له العديد من المؤلفات ك كتاب اللباب على آية الكتاب وشرح المباحث الأصلية لابن البناء السرقسطي، توفي سنة(899ه/1493م)[1].

2. **عبد الله الورياجلي:** هو أبو محمد عبد الله الورياجلي من أبرز العلماء الذين يؤخذ عنهم العلم الشرعي، أخذ عن الإمام القوري والعبدوسي، رحل إلى تلمسان للأخذ عن الإمام ابن مرزوق شارح البردة وشارح مختصر خليل، وصل تلمسان وحدثت بينه وبين **ابن مرزوق** حادثة جليلة تدل على التواضع بين العلماء، كان يشد الرحال إلى العلماء أينما كانوا ثم رجع إلى المغرب فلزم الجهاد واشتغل بالتدريس والإفتاء في أمور الدين[2].

3. **عبد الله الخياط الزرهوني:** هو أبو محمد عبد الله الخياط نزيل جبل زرهون، أجازه الشيخ الكبير أبي العباس أحمد الملياني، توفي رحمه الله سنة (1030ه/1621م)[3].

4. **أحمد تاخريسان الرّاشدي:** هو أبو العباس أحمد المعروف بتاخرسان من جبال بني راشد، كان من أكابر العلماء وشيخ من شيوخ أبو عبد الله بن هبة الله، تردد على تلمسان وزار علمائها فقال صاحب دوحة الناشر:"...حدثني شيخي أبو عبد الله بن هبة الله، وهو ممن أخذ عنه، قال لي كان الشيخ بن تاخرسان إذ قدم تلمسان تعطلت الدروس فيها ما دام الشيخ مقيما بها، إجلالا لمقامه ورغبة في الأخذ عنه...توفي و الله أعلم في العشرة الثانية"[4].

من علماء الجزائر الذين هاجروا إلى المغرب لطلب العلم والتدريس نذكر:

[1] – بن عسكر، مصدر سابق، ص 16.

[2] – نفسه، ص30.

[3] – نفسه، ص83.

[4] – نفسه، ص129.

1. **محمد شقرون بن محمد بن أحمد بن أبي جمعة المغراوي الوهراني** المتوفي سنة (929ه/1523م) كان حافظا للحديث ومقرئ من فقهاء المالكية، أخذ عن ابن غازية وغيره وألف كتاب الجيش الكمين في الكرّ على من يكفر عوام المسلمين وكتاب تقييد على مورد الظمآن [1]، قدم إلى فاس سنة 967ه في عهد السلطان الغالب ابن محمد الشيخ السعدي واشتغل بالفتوى والتدريس بمراكش واشتهر بعلمه في سائر بلاد المغرب وأخذ على شيوخ تلمسان بالمغرب، توفي في فاس [2]، من شيوخه أحمد بن زكريا لتلمساني وسئل صاحب الدوحة شيخه ابن شقرون، فقال: "...آما ابن زكري فلا يطار تحت جناحه..."، وذلك لعلمه الغزير[3].

2. **محمد بن عبد الرحمان بن جلال:** هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان ابن التلمساني كان إمام علم الكلام ذهب إلى فاس في أيام السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ الشريف فولاه منصب الإفتاء بفاس والتدريس وخطيبا بجامع الأندلس ثم صار يخطب بجامع القرويين، أخذ العلم في شبابه عن شيوخ تلمسان ومكث في المغرب حتى توفي عام(981ه/1573م)[4].

3. **بن محمد العقباني:** هو أبو العباس أحمد بن محمد بن قاسم العقباني كانت له منزلة كبيرة في الفقه قدم مع الشيخ أبي عبد الله محمد شقرون و أحمد العبادي، وتصدر التدريس بجامع القرويين، توفي في آخر العشرة الثامنة [5]بفاس .

---

[1] – عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1980م،ص 189.

[2] – ابن عسكر، مصدر سابق، ص116.

[3] – نفسه، ص119.

[4] – نفسه، ص 123.

[5] – نفسه، ص123.

4. **أحمد شقرون بن أبي جمعة المغراوي**: هو أبو العباس أحمد بن أبي جمعة المغراوي ثم الوهراني، لقب بشقرون الوهراني لأنه أشقر اللون أحمر العينين، رحل إلى فاس ودّرس بها وكان أبرز الفقهاء بها وله مؤلف: جامع جوامع الاختصاص والتبيان فيما يعرض بين المعلمين و أباء الصبيان، توفي في العشرة الثالثة[1].

5. **محمد الخروبي السفاقس:** هو محمد بن علي الخروبي الطرابلسي أو السفاقسي الجزائري، كان فقيه الجزائر في عصره من قرى طرابلس الغرب ونشأ بالجزائر وولي الخطابة بها وفي سنة (959ه/1552م) رحل إلى المغرب الأقصى وأوفد السلطان العثماني كسفيرا له عند أبي عبد الله المهدي الشريف الحسني، زار فاس ومراكش وله عدة مؤلفات: "رسالة ذوي الإفلاس إلى خواص أهل فاس" و"شرح صلاة ابن مشيش "و"الأنس في التنبيه عن عيوب عن عيوب النفس وتفسير القرآن" [2]، التقى علماء المغرب و أخذ عنهم وكان وروده على فاس في أيام السلطان أبي عبد الله محمد شريف سنة (959ه/1552م)، كان ذو قدر وشأن عند علماء المغرب، توفي سنة(963ه/1556م) بالجزائر[3].

6. **علي بن عيسى الراشدي التلمساني:** أستاذ في القراءات وقواعد اللغة والأدب من أهل تلمسان، هاجر إلى فاس وسكن بها واشتغل بالتدريس خاصة في أول الأمر بتدريس المنظومات الأولية المتعلقة بضبط القرآن ورسمه وتجويده ثم أسند له كرسي الشاطبية الكبرى بمسجد الشرفاء، فدرس زمنا طويلا وختمها مرات واستعان في شرحها بما ذكره المنجور في الفهرست[4].

---

[1] – ابن عسكر، مصدر سابق ،ص125.

[2] – نويهض، مرجع سابق، ص132.

[3] – ابن عسكر، مصدر نفسه، ص126.

[4] – نويهض، مرجع نفسه، ص 72.

7. **أحمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب العبادي التلمساني:** المتوفي سنة(980ه/1572م)[1] قال فيه صاحب الدوحة: ...هذا الرجل من فحول العلماء، كبير الهمة غزير العلم كريم السجية له نفس أبية و همة عالية...، انتقل إلى فاس سنة (968ه/1561م) وكان سبب ذلك الفتنة التي وقعة بين الترك وأهل تلمسان، فلما استغاث علماء تلمسان بسلطان المغرب عبد الله الغالب رّحلهم إلى فاس وأجرى لهم المنح ومن بينهم الشيخ أحمد بن أحمد العبادي التلمساني، اشتغل بالتدريس ووفد عليه الطلاب من كل ناحية ثم انتقل إلى مراكش ثم عاد إلى تلمسان ثم إلى مليانة وكان صاحب كتاب دوحة الناشر من الطلاب الذين أجازهم هذا الشيخ التلمساني [2].

8. **الزّواوي المتوفي(99ه/1590م):** هو يحيا بن سليمان الزاوي عالم بالفقه المالكي و بالعقائد، رحل إلى فاس سنة 983ه ثم عاد إلى الجزائر [3].

9. المطغري(871-951ه/1466-1545م): هو علي بن هارون اشتهر بالمطغري أبو الحسن من كبار الفقهاء في المذهب المالكي، له مشاركة في علوم التفسير والعربية والحساب و الفرائض، ولد في مطغرة من أعمال تلمسان، وانتقل إلى فاس سنة(891ه/1486م) فلازم العلامة ابن غازي 29 سنة في البحث و التحقيق، أخذ عنه ابنه أحمد، كان حافظ ذو فضل كبير في العلم[4].

10. محمد بن محمد بن العباس التلمساني: عالم نحوي ومحقق أخذ على علماء كبار أمثال السنوسي والكفيف و ابن مرزوق والحافظ التنسي وابن زكري،

[1] – نويهض، مرجع سابق، ص65.

[2] – ابن عسكر، مصدر سابق، ص118.

[3] –نويهض ، مرجع نفسه، ص167.

[4] –نفسه، ص306.

رحل إلى فاس وأخذ عن علمائها أمثال ابن غازي ثم عاد إلى تلمسان له عدة مؤلفات، كان حيا سنة(920ه/1514م)[1].

11. محمد بن عبد الرحمان بن حلال: تلمساني الأصل استقر بفاس كان فقيها ومفتيا خطيبا وفقيها في العقائد والحديث والآداب، توفي بفاس في رمضان سنة(981ه/1573 م) وولد سنة (908ه/1502م)[2].

12. أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب بن قنفذ القسنطيني: هو أبو العباس الشهير بابن الخطيب وابن قنفذ، كان قاضي وعلامة محدث أخذ العلم من عدة شيوخ كالإمام الشريف أبي عبد الله التلمساني والشيخ الحافظ أبي عمران موسى العبدوسي، لقي الكثير من العلماء في الفقه وحتى في النحو، ارتحل إلى فاس سنة(959ه/1552م) ولقي **أبا القاسم السبتي** وأخذ عنه، له عدة مؤلفات: "شرح الرسالة في أسفار" و"شرح الخونجي في سفر الصغير" و"شرح أصلي ابن الحاجب" و"شرح ألفية ابن مالك" و"أنوار السعادة في أصول العبادة في شرح بني الإسلام على خمس" وكتاب "بغية الفارض من الحساب والفرائض"، توفي سنة(910ه/1505م)[3].

المطلب الثاني: أهم الحواضر العلمية.

من ضمن الأسباب التي شجعت التطور العلمي في المغرب و الجزائر وجود حواضر علمية التي ساهمت في تخريج العديد من العلماء والفقهاء البارزين أمثال عبد الواحد الونشريسي، ولعل من أبرزها مدينة فاس في المغرب الأقصى وتلمسان في المغرب الأوسط.

---

[1] –أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تق: عبد الحميد عبد الله الهررمة، ج1-2، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس– ليبيا، 1989م، ص585.

[2] – نفسه، ص599.

[3] – نفسه، ص ص 109-110 .

أ. مدينة فاس:

تعتبر فاس مدينة العلم في سائر بلاد المغرب إذ بها جامع القرويين الذي أسهم في دفع الحركة الثقافية والفكرية، خاصة في أزهى العصور التي شجع فيها نشر العلوم والمعرفة، ونظرا لقيمة المدينة ثقافيا فقد كثرت فيها المدراس كمدرسة العطاريين التي بناها أبو الحسن المريني(747ه/1346م) على مقربة من جامع القرويين وعرفت بمدرسة مصباح و كذلك المدرسة البوعنانية التي بنية بعد سنة(752ه/1351 م) على يد أبو عنان المريني في القسم الغربي من المدينة والتي كانت مركز لإلقاء المحاضرات ومدرسة النحاسيين التي هي الأخرى كانت مهمة في مدينة فاس، وقد خصص من هذه المدارس بيوت لسكنى الطلاب الوافدين من كامل أقطار المغرب، كذلك نجد مدرسة السلطان العلوي المولى الرشيد التي بناها سنة(1081ه/1670م)وجعلها ملتصقة بجامع القرويين،كما بنا العلويين عدد كبير من المساجد في مطلع القرن السابع عشر ميلادي.[1]

فقد أولى حكام المغرب الأقصى في العصر السعدي و العلوي الجانب العلمي اهتماما كبيرا، فقد استقطبوا العلماء و الطلاب إلى المغرب الأقصى و من بينهم الشيخ محمد السعدي الذي كان يجالس العلماء في مجالس الفقه و يناقشهم في عدة مسائل[2]، وأيضا ابنه عبد الله الغالب الذي استجلب مجموعة من علماء تلمسان بعد خلافهم مع العثمانيين و أقر لهم معاشات في فاس[3].

[1] – روجيه لوتورنو، فاس في عهد بني مرين، تر: نقولا زياده، د ط، مؤسسة فرنكلين للطباعة و النشر، بيروت – لبنان، 1967م،ص43-46.

[2] – الناصري، مرجع سابق، ج5، ص35.

[3] – ابن عسكر، مصدر سابق، ص116.

أحصى الوزان في كتابه إحدى عشرة مدرسة جيدة البناء كانت جل هذه المدارس تمول من طرف الأوقاف التي تسرف مداخليها على الطلاب من دفع مصاريف اللباس والمأوى لمدة سبع سنوات، وأجرة شيوخ المدارس ، ولا عجب أن يجد علماء تلمسان جو مناسب للعلم والعمل في التدريس[1].

ب. مدينة تلمسان:

منذ عقود أولى سلاطين بني زيان الجانب الفكري اهتماما كبيرا، فقد تنافست هذه المدينة القديمة مع فاس في استقطاب العلماء والتلاميذ في مختلف العلوم الشرعية، وحرصا منهم على تثبيت دعائم العلم في هذه المدينة، فقد بنا الزيانيين المدارس والمنازل لإيواء الطلاب ووهبوا العلماء إقطاعيات وأوقفوا الأوقاف لهذه المدارس لأجل تمويلها، واستمالوا العلماء لتوليتهم مناصب التدريس والإفتاء كما فعل أبو حمو الثاني مع ابن خلدون سنة(769ه/1368م)حينما استدعاه وطلب منه المجيء للتدريس بتلمسان [2].

كان الجامع الأعظم بتلمسان منارة علمية مميزة درّس بها علماء كبار وتعاقبوا عليها مثل العلامة ابن مرزوق[3]، فقد درّس في هذه المدارس الفقه المالكي و العلوم العامة، وحضي العلماء بمكانة مرموقة فكان يستشيرهم السلطان، فجعل لهم زي خاص يميزهم عن غيرهم دلالة على رفعة مكانتهم في وسط المجتمع التلمساني[4]، ولتميز منهاجها التعليمية فقد قصدها العديد من العلماء

[1] – الوزان، مصدر سابق، ج1، ص226.

[2] – بسام كامل عبد الرزاق شقدان، " تلمسان في العهد الزياني(633- 962ه/ 1235- 1555م) "، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، كلية الدراسات العليا، قسم تاريخ، جامعة النجاح الوطني، نابلس- فلسطين، 2002م، ص225.

[3] – ابن عسكر، مصدر سابق، ص30.

[4] – نفسه، ص28.

المغاربة ودرسو بها ومن بينهم علماء كبار مثل: عبد الله الوريـاجلي[1]، وعبد الله الخياط الزرهوني[2]، وعدد كبير من العلماء.

يكمن السبب في التنافس القائم بين فاس وتلمسان في السلاطين فقد نقلوا التنافس من المجال السياسي إلى المجال الفكري لجعل هذه المدن أكثر شهرة وتألقا.

المطلب الثالث: الإجازات العلمية.

تعتبر الإجازات العلمية أمر مهم في الارتقاء في درجات الفقه في الدين ولابد أن يجاز الطالب على يد عالم فقيه ملم بسائر المسائل في علوم الدين ومشهود له بذلك، فالعالم يقدر علمه بدرجة الإجازات العلمية فهي بمثابة الشهادة التي تمنح له.

1. **الشيخ أبي العباس احمد بن يوسف الملياني:** فقد كان هذا الشيخ غزير العلم زاهدا في الدنيا ومن العلماء الذين أجازهم الشيخ محمد بن علي الحج الشطيبي واسمه الكامل أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن محمد الأندلسي المعروف بالحاج الشطيبي[3].

2. **عبد الواحد بن أحمد بن يحي الونشريسي(885-955ه/ 1480-1549م):** فقيه مالكي كبير في تلمسان هاجر والده إلى فاس سنة(874ه/ 1470م)وسكن بها حتى مات سنة (914ه /1508م)،أخذ العلم عن والده وابن غازي وابن الحباك وغيرهم[4]، كما اخبر عنه الفقيه أبو عبد الله محمد النالي المعروف بالمسفر ونقل عنه في المعيار المغرب[5].

---

[1] – ابن عسكر، مصدر سابق، ص30.

[2] – نفسه، ص83.

[3] – نفسه، ص16.

[4] – نويهض، مرجع سابق، ص344.

[5] – ابن عسكر، مصدر سابق، ص34.

3. **عبد العزيز القسمطيني:** أبو فارس عبد العزيز القسمطيني كان من شيوخ الصوفية، من تلاميذه أبو عبد الله ابن عمر المطغري وأبو عبد الله محمد بن علي الدرعي، توفي في أوائل سنة(940ه/1534م).

4. **محمد بن أبي مدين التلمساني:** هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي مدين التلمساني، أخذ عنه وأجاز أبي عبد الله محمد بن هبة الله، توفي سنة(904ه/1499م)[1].

5. **محمد بن عيسى التلمساني:** أبو عبد الله محمد بن عيسى التلمساني أحد شيوخ ابن هبة الله وأخذ عنه العديد من علماء المغرب كافة[2].

مما أوردنا سابقا إنما جاء على سبيل ذكر أبرز العلماء إذ لا يمكن حصر عدد هم لكثرتهم، فما يميز العلماء في هذه الفترة أن العلماء لم يكونوا يكتفون بالإجازة فقط بل ينهلون من مؤلفات بعضهم البعض و يراسلون بعضهم البعض ومن ضمن ذلك المراسلات التي حدثت بين محمد الخروبي مبعوث الترك إلى محمد الشيخ السعدي وعلماء فاس واغتنم فترة وجوده بالمغرب ليتحصل على إجازات من بعض العلماء في عدة مسائل مثل الشيخ زروق[3].

من المناهج التي كانت تدرس بمدارس المغرب و الجزائر، العلوم النقلية والعقلية.

أ. العلوم النقلية:

هي العلوم المتخصصة بالمسلمين وهي مستندة إلى الشرع من الكتاب والسنة وتنقسم إلى فرعين.

[1] – ابن عسكر، مصدر سابق، ص132.

[2] – نفسه، ص134.

[3] – الناصري، مرجع سابق، ج5، ص27.

الفرع الأول: العلوم الدينية و الشرعية وتشمل الفقه، الحديث، التفسير، أصول الكلام،أصول الدين، القراءات، الفرائض، التصوف، الرؤيا.

الفرع الثاني: العلوم اللسانية والاجتماعية، وتشمل الشعر، الأدب، اللغة والبلاغة،النحو، التاريخ، التراجم، الجغرافيا [1].

ب. العلوم العقلية:

هي علوم الطبيعة الإنسان غير مختصة بملة معينة، كالفلسفة و الحكمة وتتفرع إلى علم المنطق، العلوم الطبيعية، العلوم الروحانية، علم المناظر في المقادير و الأعداد، وعلم الهيئة و الفلك وتتفرع هذه العلوم إلى عدة علوم أخرى.

كانت هذه العلوم تدرس وفق منهج ووقت زمني محدد، [2] فقد كان الشيخ عبد الواحد الونشريسي يقرأ صحيح البخاري بجامع القرويين وينقل عليه كلام ابن حجر في "فتح الباري" بين المغرب والعشاء.

[1] – شقدان، مرجع سابق، ص ص235-230.

[2] - الناصري، مرجع سابق، ص 23.

يمكن القول أن العلاقات الاجتماعية متينة بفعل الانتماء للأصل الواحد الذي تفرع عن القبائل الأمازيغية وحتى القبائل العربية القادمة من شبه الجزيرة العربية كبني هلال وبني معقل وبني رياح وانتشرت في كامل المغربين، فمن شأن هذه الصلة أن تستغل في توحيد الجهود للرقي بالمجتمع المغربي وتحقيق مستقبل أفضل على جميع الأصعدة، وبتوفر التقارب الديني بفضل الدين المشترك وغنى الدولتين بالحواضر العلمية عبر العصور والثراء الفكري لعلمائها كان بالإمكان استغلال ذلك في نهضة علمية حقيقية وحتى اقتصادية، لكن لم يكتب للقطرين تحقيق الكثير بسبب تراجع دعم التعليم مما أثر بالسلب وكان ذلك امتداد للأوضاع السياسية.

خاتمة

خاتمة

هذه الدراسة حول العلاقات الجزائرية المغربية يمكننا أن نستخلص منها عدة نتائج مهمة :

-فالوضع السياسي المتدهور مع بداية القرن 16م و الانقسامات كان يخدم أطراف سياسية في معظم الأحوال، والتي تطمح إلى تحقيق مطامع شخصية أو متحالفة مع القوى الأجنبية من الأسبان أو تسعى إلى مهادنته فكان التوجه الخاطئ سبب أسهم بشكل مباشر في احتلال أراضي المغرب و الجزائر من طرف الأسبان والبرتغال وأوجد لهم موطئ قدم، فترتب عنه ردة فعل من طرف الزوايا و الطرق الصوفية التي قادت الجهاد وسعت إلى إيجاد قوى داخلية للاستعانة بها كالسعديين في المغرب لمواجهة المد الاستعماري، بعد ترتيب الأوضاع السياسية الداخلية أو قوى خارجية كالاستنجاد بالعثمانيين في الجزائر لتحرير البلاد من الخطر الاحتلال.

-لقد تأثر الجانب الاجتماعي والاقتصادي والثقافي بالجانب السياسي فكان ذلك سببا في انتشار الآفات الاجتماعية كالفقر والمجاعات وتعطيل التطور الفكري بسبب الحروب والذي ظل مرتبطا بالوضع السياسي في إطار الدعوى للجهاد، مما أثر بالسلب فأصبح العلماء منشغلين بالوضع السائد و التأليف بما يتماشى معه.

-أما في العلاقات السياسية بين البلدين ففي جل التعاملات كان يغلب عليها المصلحة المتبادلة والتي تحول إلى صدامات بسبب سعي الأطراف للتوسع على حساب الآخر، كسعي حكام المغرب للتوسع على حساب الجزائر وسعي العثمانيين لكسب ولاء المغرب لتوحيد الجهود في سبيل القضية التي تهم الجميع وهي تصفية الوجود الأوروبي في شمال إفريقيا و اتخاذها قاعدة لاسترداد الأندلس.

-رغم التوتر السياسي بين البلدين في فترات محددة إلا أن الجانب الاقتصادي لم يتأثر كثيرا بالظروف السياسية بسبب الحرية في المعاملات التجارية و حرية التنقل عبر الطرق البرية والبحرية بدون قيود سياسية.

-بحكم التشابه في الأصول العرقية والتاريخ المشترك و الجوار، من الطبيعي أن توجد روابط قوية مبنية على الإخاء و التعاون لأهداف سامية بعيد عن نظم الحكم وقيودها، فكان من المفروض أن تستغل هذه الظروف في تحسين العلاقات ودفعها لتصبح أكثر فعالية مستقبلا.

-رغم وجود اهتمام كبير بالعلوم بأنواعها وتشجيع الحكام للمؤسسات العلمية وتحسينها لكن الإنتاج الفكري ظل يعتمد على التقليد والنقل في غياب الاجتهاد والإبداع في العلوم العقلية.

-أما عن التعاون في المجال الفكري فيمكننا القول أنه كان وثيقا قويا وهذا راجع إلى ظروف التعليم وحرية تنقل الأفراد .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1. المصادر باللغة العربية:

أ. مصادر عربية:

1. ابن مريم أبي عبد الله محمد بن محمد، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مر: ابن أبي شنب، د ط، المطبعة الثعالبية، الجزائر العاصمة،1908م.
2. الأفراني محمد الصغير، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تح: هوداس، د ط، مطبعة بردين، انجى، 1888م، ص21.
3. بن عسكر محمد الحسني الشفشاوني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح: محمد حجي، ط2، دار المغرب للتأليف والترجمة و النشر، الرباط- المغرب، 1997م.
4. التمبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تق: عبد الحميد عبد الله الهررمة، ج1-2، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس– ليبيا، 1989م
5. الزياني أبو القاسم، الترجمان المعرب في أخبار دول مراكش والمغرب، د ط، د.د.ن، دس.
6. الفشتالي أبي فارس عبد العزيز، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تح: عبد الكريم كريم، د ط، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، المغرب، دس.
7. اللواتي الطنجي محمد بن عبد الله ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة(تحفة الناظر في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار)،تق و تح: محمد عبد المنعم العريان، مر: مصطفى القصاص، ط1، دار إحياء العلوم، بيروت – لبنان، 1987م.
8. مؤلف مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، تح: عبد الرحيم بنحادة، ط1، دار تينمل للطباعة و النشر، مراكش – المغرب، 1994م

9. المقري أحمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، ج1، م1، د ط، دار صادر، بيروت – لبنان، 1968م.

ب. المصادر المعربة:

1. حسن الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي،ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، 1983م.
2. كربخال مرمول، إفريقيا، تر: محمد حجي و آخرون، ج2، د ط، مكتبة المعارف، الرباط –المغرب، 1984م. بربروسا خير الدين، مذكرات خير الدين بربروسا، تر: دراج محمد، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، 2010م.

2. مصدر باللغة الأجنبية:

1. Diego de haédo، Histoire des rois d alger، Tr : De grammont ،Adolphe jourdan، libreaire – éditeur.alger،1881.
2. Diego de Haédo. Topographie et histoire générale d’alger . tr: Monnereau et A. berbrugger.1870. immprimé a Valladolid en .1612.

المراجع:

أ. الكتب:

1. ألتر سامح عزيز، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا، تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان،1989م.
2. براون كينيث، "تاريخ مدينة سلا1000- 1800م " ، تر: محمد جيدة، أناس لعلو، د ط، مجلة أمل للتاريخ و الثقافة والمجتمع، دار البيضاء – المغرب، 2001م.

3. بنو جيت يوسف، قلعة بني عباس إبان القرن 16م، تر: سامية سعيد عمار،تق: محفوظ قداش،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية – الجزائر.
4. التازي عبد الهادي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم،ج7-9، د ط، أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، 1988.
5. جمعية المؤرخين المغاربة، المغرب في عهد الدولة السعدية(دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية و مختلف المظاهر الحضارية)، ط3، د. د. ن، الرباط – المغرب، 2006م.
6. الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام ، ط2، دار مكتبة الحياة، الجزائر، 1965م.
7. رزوق محمد، الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 – 17م، ط3، أفريقيا الشرق، الرباط – المغرب، 1998م.
8. سبنسر ويليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تر:عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، د ط، الجزائر العاصمة،2006م.
9. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقـــافي 1500- 1830،ج2، ط1، دار الغـــرب الإسلامي، بيروت – لبنان، 1980م.
10. صابان سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مر: عبد الرزاق محمد حسن بركات، د ط، س 3، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض – السعودية، 2000م.
11. عامر محمود علي، محمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي(المغرب الأقصى، ليبية)، د ط، جامعة دمشق، سوريا، 1 أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء(الأخبار لدول المغرب الأقصى)،تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، ج4 ، د ط، دار الكتاب، دار البيضاء- المغرب، 1997م 999- 2000م.

12. العسلي بسام، خير الدين بربروسا((و الجهاد في البحر)1470- 1547م)، ط1، دار النفائس، بيروت- لبنان، 1980م.
13. قطب محمد علي، مذابح وجرائم محاكم التفتيش، د ط، د. د. ن، د ت.
14. لوتورنو روجيه، فاس في عهد بني مرين، تر: نقولا زياده، د ط، مؤسسة فرنكلين للطباعة و النشر، بيروت –لبنان، 1967م.
15. المدني أحمد توفيق، حرب الثلاث مائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ت.
16. المشرفي محمد بن محمد بن مصطفى، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعدّ بعض مفاخرها غير المتناهية، تح: إدريس بوهليلة، ج1، ط1، دار أبي الرقراق للطباعة و النشر، المملكة المغربية، 2005م.
17. نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت،لبنان، 1980م يري محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، د ط، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1972م.

ب. المجلات والدوريات:

1. سعيداني محفوظ، " الفلاحة في بلاد المغرب في القرنين 18 – 19م"، مجلة الدراسات الإفريقية، جامعة الجزائر2، العدد 15-16، 2012-2013م.
2. عمر بن قايد، "أضواء على علاقات الجزائر مع المغرب الأقصى خلال القرن 11ه /17م"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، ع 17، 2012م.

ج. الرسائل الجامعية:

1. بن خروف عمار،" العلاقات بين الجزائر المغرب"، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص تاريخ، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة دمشق، 1983م ،(منشورة).
2. بن قومار جلول، "معركة وادي المخازن وآثارها على العلاقات المغربية مع دول غرب أوروبا: البرتغال- إسبانيا- فرنسا(986ه – 1578م / 1012ه – 1603م) "، أطروحة لنيل شهادة ماجيستر ، المركز الجامعي بغرداية، معهد العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم تاريخ، غرداية – الجزائر، 2010-2011م،(غير منشورة).
3. شقدان بسام كامل عبد الرزاق، " تلمسان في العهد الزياني(633- 962ه/ 1235-1555م) "، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، كلية الدراسات العليا، قسم تاريخ، جامعة النجاح الوطني، نابلس، فلسطين، 2002م،(غير منشورة).
4. غطاس عائشة، " الحرف و الحرفيون في مدينة الجزائر1700-1830م(مقاربة اجتماعية – اقتصادية) "، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية، قسم تاريخ، الجزائر، 2000-2001م،(منشورة).

المواقع الإلكترونية:

1. موقع ترك برس : http://www.turkpress.co.
2. موقع دزاير : http://dzayer2020.blogspot.com
3. موقع: بوابة الجزائر: Algeria Gate
. http://www.algeriagate.info/2014/02/blog-post_24.html
4. موقع صحيفة رأي اليوم: http://www.raialyoum.com.

ملاحق

الملحق رقم: (01): خريطة لأهم المدن الجزائرية و مسار القوافل التجارية.

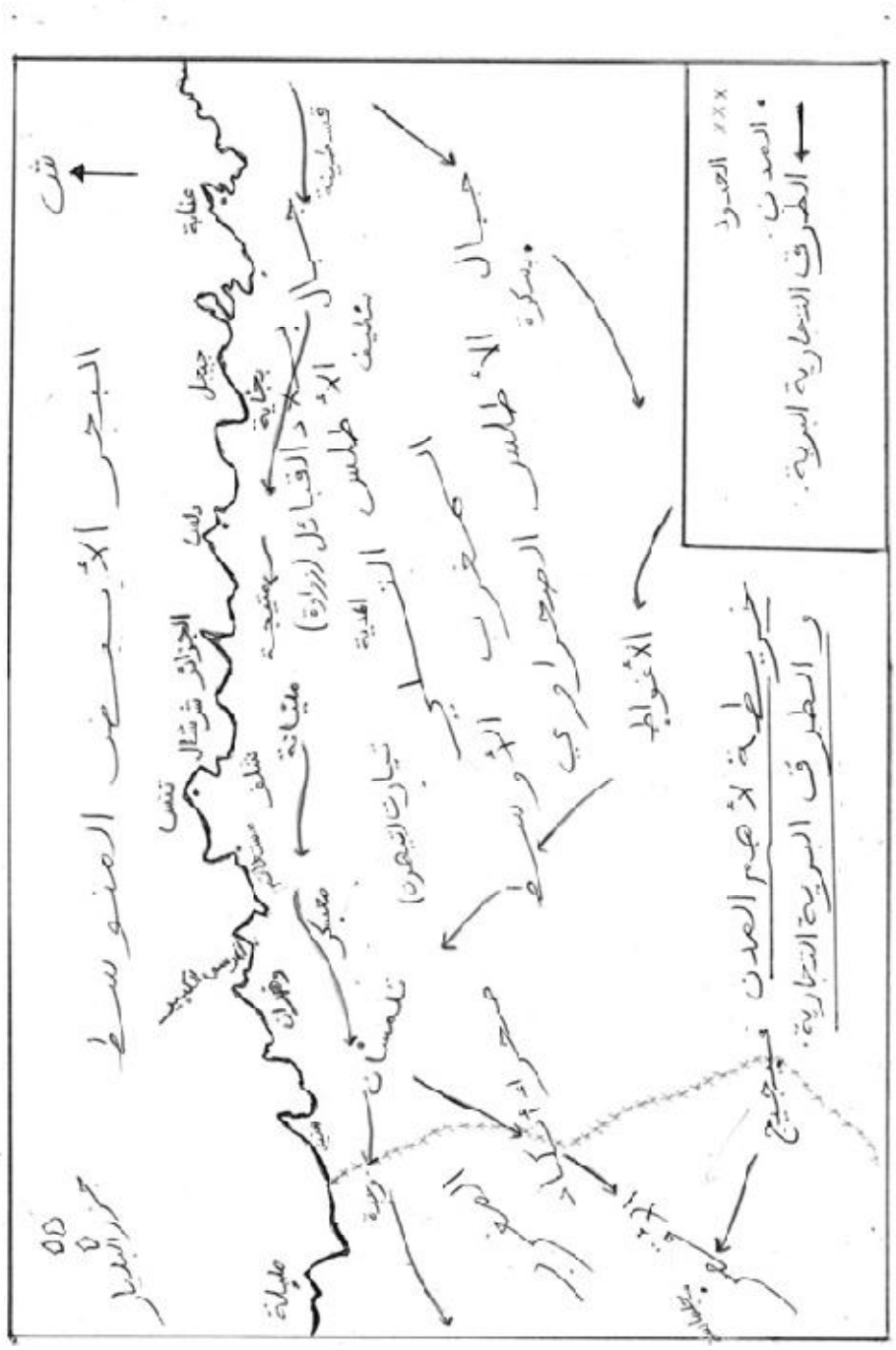

1

[1]- نقلا عن الوزان، مصدر سابق .

الملحق رقم: (02): صورة تخيلية لخير الدين بربروسا .

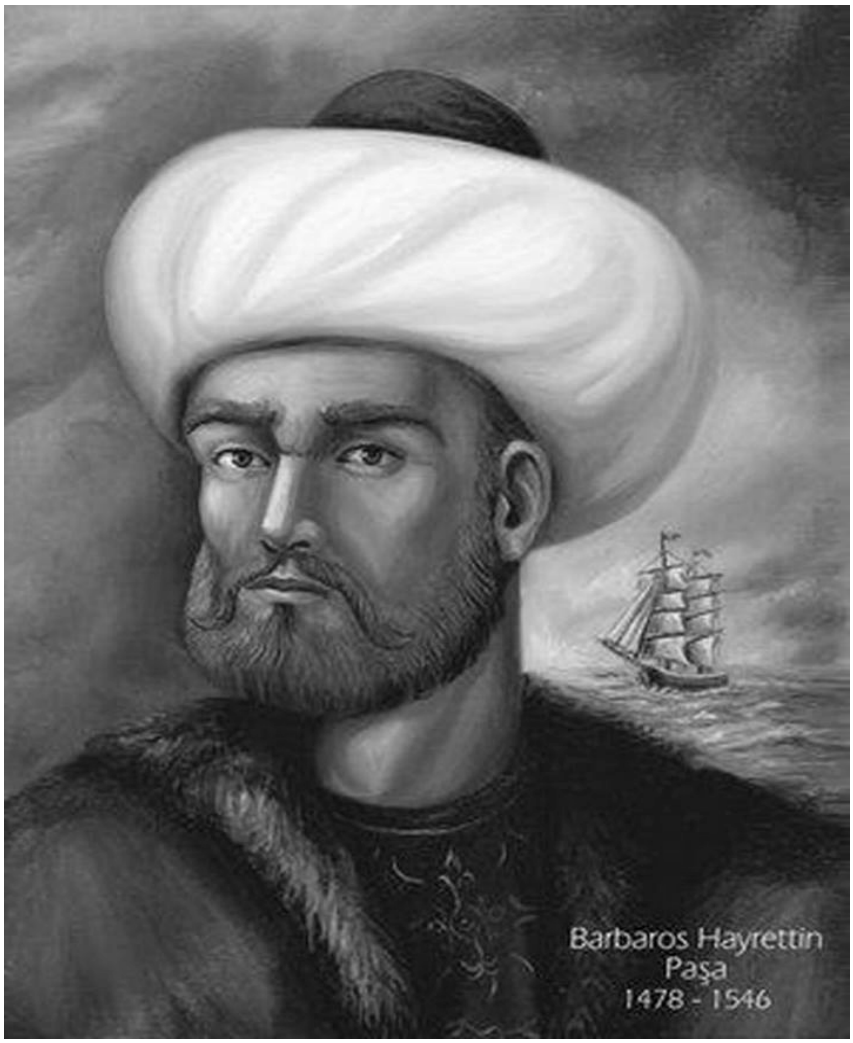

1

[1]- الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

الملحق رقم: (03) : مدينة الجزائر في بداية القرن 16م

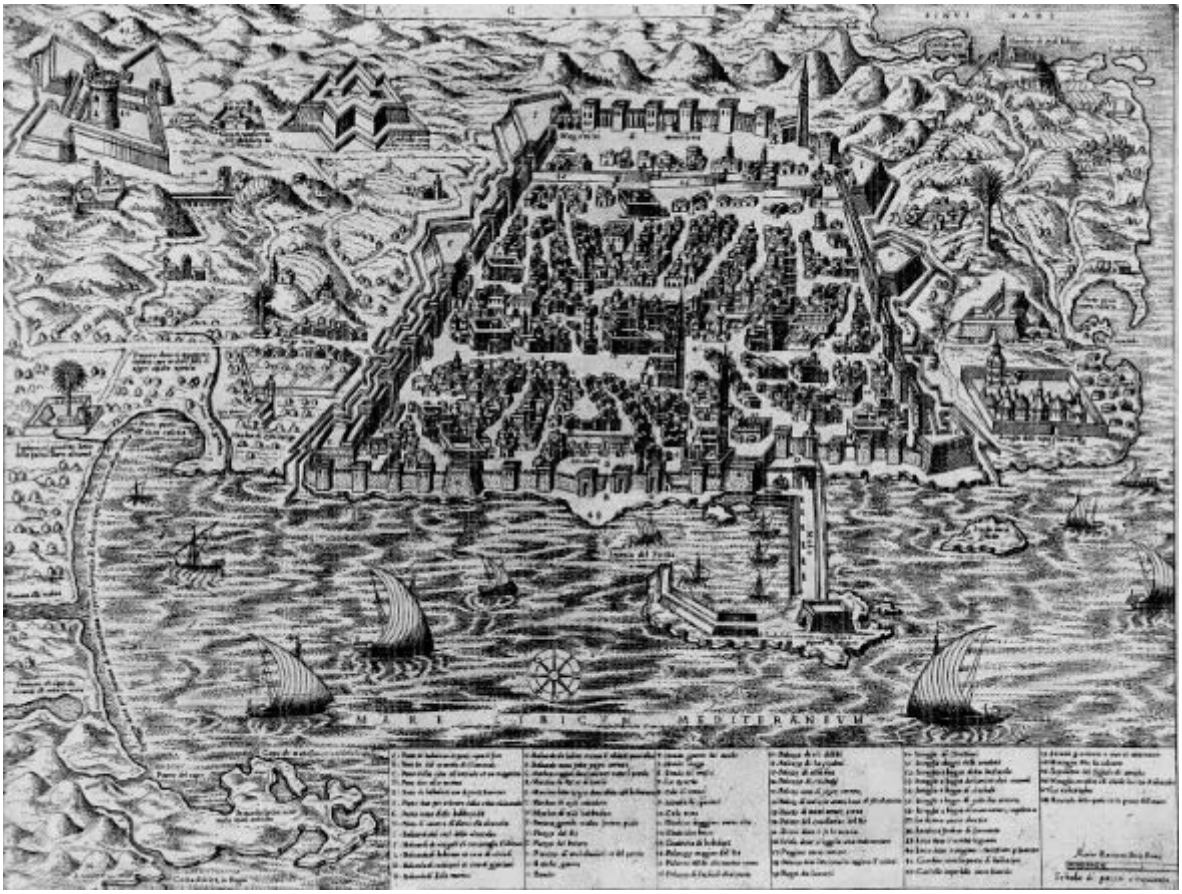

1

[1]- موقع دزاير : http://dzayer2020.blogspot.com،

الملحق رقم: (04): رسالة أهالي الجزائر إلى السلطان العثماني سليم الأول سنة 1519م يعرضون فيها رغبتهم للانضمام للدولة العثمانية.

1

[1]- بربروسا، مصدر سابق، ص م3.

الملحق رقم: (05): خريطة توضح أهم مدن وأقاليم المغرب الأقصى.

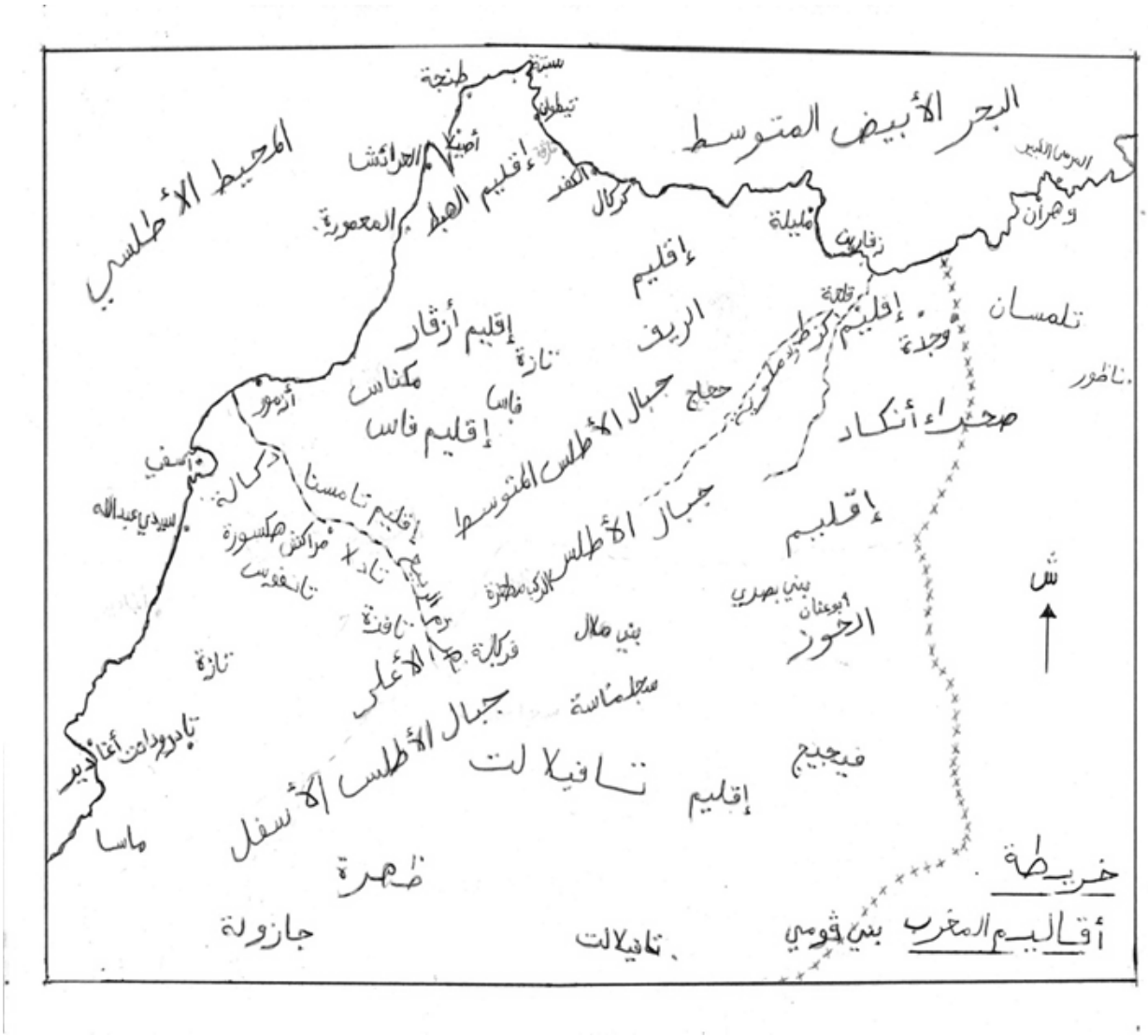

1

[1]- نقلا عن الوزان، مصدر سابق .

الملحق رقم: (06): قائمة لأشهر ملوك للدولة السعدية.

أنظر موسوعة أعلام المغرب ، ج3، ص 1134.

1

[1]- بن قومار، مرجع سابق، ص153.

الملحق رقم: (07): صورة للجيش الإنكشاري .

1

[1]- موقع ترك برس : http://www.turkpress.co

الملحق رقم: (08): جندي انكشاري مجهز بالأسلحة.

[1]

[1]- موقع ترك برس : http://www.turkpress.co

الملحق رقم: (09): خريطة توضح سير الجيش البرتغالي بقيادة سيبستيان نحو ماد المخازن وموقع المعركة.

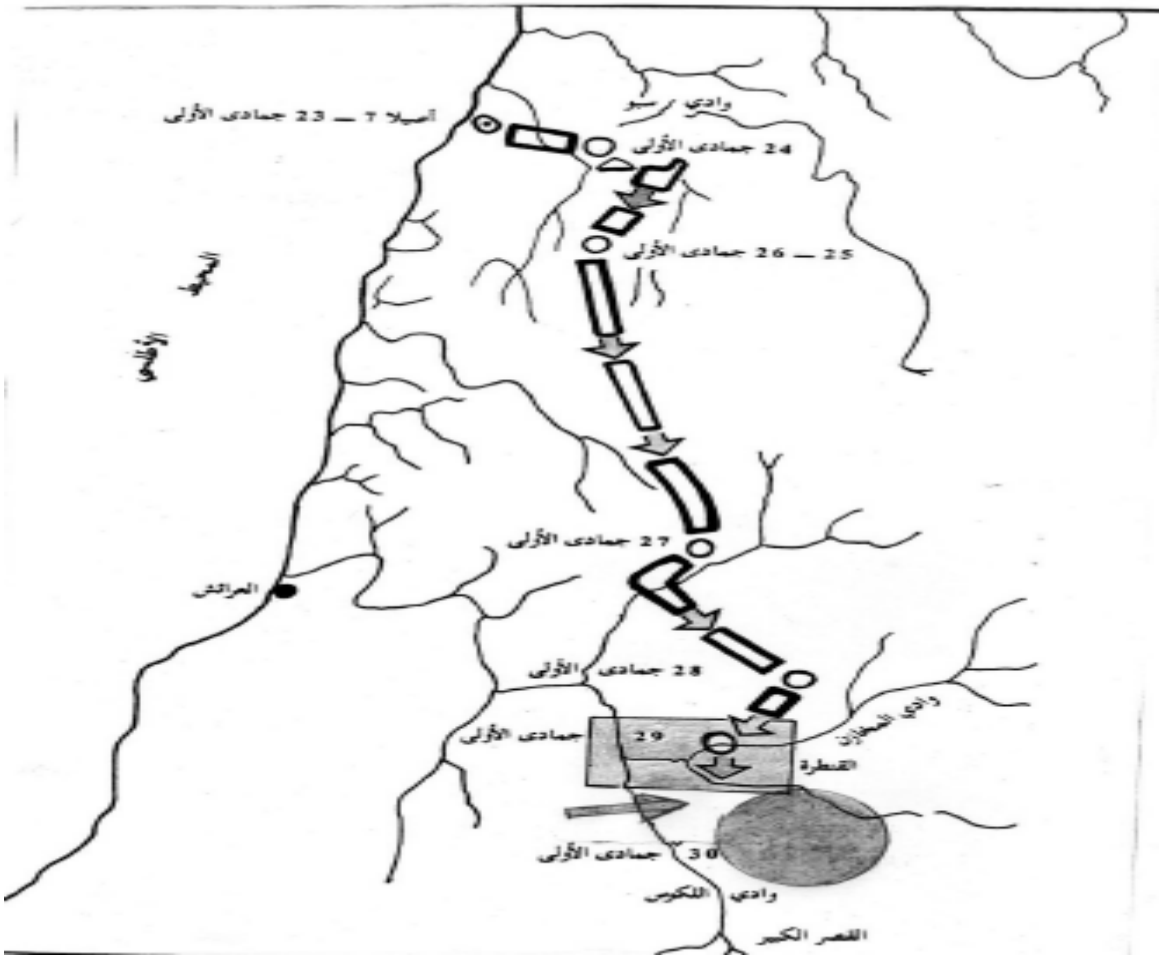

1

[1]- جلول بن قومار، "معركة وادي المخازن وآثارها على العلاقات المغربية مع دول غرب أوروبا: البرتغال- إسبانيا- فرنسا(986ه – 1578م / 1012ه – 1603م) "، أطروحة لنيل شهادة ماجيستر، المركز الجامعي بغرداية، معهد العلوم الإنسانية و الإجتماعية، قسم تاريخ، غرداية – الجزائر، 2010-2011م، ص148.

الملحق رقم: (10): صورة تخيلية للمولى إسماعيل سلطان المغرب.

[1]

[1] - موقع صحيفة رأي اليوم: http://www.raialyoum.com.

فهرس المحتويات

الفروع	العناوين	الصفحة
	شكر	
	إهداء	
	قائمة الاختصارات	
	مقدمة	أ
الفصل الأول	**أوضاع المغربين(الأوسط و الأقصى) خلال القرن 16م**	**2**
المبحث الأول	الوضع السياسي	3
المطلب الأول	الفوضى السياسية	3
أ	مملكة بني زيان في آخر عهدها	3
ب	الإمارات السياسية	6
المطلب الثاني	النجدة العثمانية في المغرب الأوسط	7
أ	العثمانيين و الجهاد	7
ب	إلتحاق الجزائر بالدولة العثمانية	10
المطلب الثالث	الصراع السياسي في المغرب الأقصى	11
أ	الوضع السياسي العام في المغرب الأقصى	11
ب	الصراع الوطاسي السعدي	13
1.1	الصراع السعدي الوطاسي في عهد أحمد الأعرج السعدي	14
2.1	الصراع السعدي الوطاسي في عهد محمد الشيخ السعدي	15
المبحث الثاني	الوضع الاقتصادي و الاجتماعي و الثقافي	18
المطلب الأول	الوضع الإقتصادي	18
أ	التجارة مع العالم الأوروبي	18

ب	النشاط الحرفي و الفلاحي	20
المطلب الثاني	الوضع الاجتماعي	23
أ	المستوى المعيشي	23
ب	الطبقات الاجتماعية	24
المطلب الثالث	الوضع الثقافي	25
أ	التعليم	26
ب	العلوم الدينية	27
الفصل الثاني	**العلاقات السياسية و الاجتماعية**	**33**
المبحث الأول	العلاقات السياسية	33
المطلب الأول	العلاقات مع الدولة الوطاسية	33
المطلب الثاني	العلاقات مع الدولة السعدية	36
أ	حرب محمد الشيخ مع الجزائريين	36
ب	مقتل الشريف محمد المهدي	37
ج	لجوء احمد المنصور و أخيه إلى الجزائر واستنجادهم بالسلطان العثماني	39
المطلب الثالث	العلاقات مع الدولة العلوية	41
أ	عهد محمد الشريف	41
ب	عهد المولى إسماعيل	43
المبحث الثاني	العلاقات الإقتصادية	43
المطلب الأول	العلاقات التجارية	43
أ	المواد التجارية المتبادلة	49
ب	أهم مراكز التبادل التجاري	49
المطلب الثاني	الصناعات و الحرف	52
الفصل الثالث	**العلاقات الإجتماعية والثقافية**	**57**
المبحث الأول	مظاهر العلاقات الاجتماعية.	57

المطلب الأول	الروابط العرقية	57
المطلب الثاني	الهجرة و الإستقرار	58
المطلب الثالث	العادات و التقاليد المشتركة	61
أ	الاهتمام بتربية النشأ	61
ب	عادات الزواج	62
ج	عادات متعلقة بالطعام	63
المبحث الثاني	مظاهر العلاقات الثقافية	64
المطلب الأول	التقارب الفكري بين علماء الجزائر والمغرب	64
المطلب الثاني	أهم الحواضر العلمية	69
أ	مدينة فاس	70
ب	مدينة تلمسان	71
المطلب الثالث	الإجازات العلمية	72
	خاتمة	ح
	قائمة المصادر و المراجع	
	ملاحق	
	فهرس	
	ملخص الدراسة	

ملخص الدراسة باللغة العربية:

بحلول القرن 16م شهد المغربين (الأوسط والأقصى) ظروفا خاصة من انقسامات سياسية فظهرت إمارات كثيرة في الجزائر في فترة ضعف الدولة الزيانية الذي انتهى وجودها سنة 1554م، وكانت نهاية الحكم الوطاسي في المغرب الأقصى على يد السعديين الذين حرروا معظم أراضي المغرب من الوجود الأجنبي، وحل الأتراك العثمانيون بالجزائر منذ 1515م و أسهموا في تحرير الموانئ المحتلة من الإسبان بمساعدة قبائل زواوة (قبائل أمازيغية تسكن منطقة القبائل الكبرى) وقبائل العرب، وانضمت الجزائر في عهد البيلرباي(أمير الأمراء) خير الدين إلى الدولة العثمانية سنة 1520م فأصبحت بعدها قوة بحرية في غرب البحر المتوسط، فكان المجتمع الجزائري و المغربي متشكل من طبقات اجتماعية يعيش أوضاع متفاوتة بين المدينة و البادية، فمعظم مداخليه المالية كانت من التجارة بالمواد الأولية، خاصة مع العالم الأوروبي، كما كان الوضع الثقافي راكدا خال من التجديد و الإبداع الفكري في مجال العلوم، معظم العلاقات السياسية بين البلدين كانت علاقات متوترة خاصة في العهد السعدي والعلوي، تحكمها المصلحة.

لكن علاقات البلدين كانت متميزة من الناحية الاقتصادية، فازدهرت التجارة بين موانئ الجزائر و المغرب وبين المدن الكبرى كتلمسان وفاس.

أما من الناحية الاجتماعية نجد العلاقات وطيدة بين البلدين بفضل الروابط العرقية و العادات والتقاليد، أما من الجانب الثقافي فقد وجد تعاون وثيق بين العلماء في مجال التعليم ونشر العلوم الدينية.

ملخص الدراسة باللغة الفرنسية:

Au début de 16eme siècle le Maghreb arabe est passe par des phases spécial de devisions politique sur ce est apparu en Algérie une période de faiblesse de l'état des zianide ce qui le mena a la disparition en 1554 et c'était la fin du reine des el watassiyine par les sadiyine qui ont libère la majorité des territoire du Maghreb de la présence estranger.

L'entre des automans en 1515 en Algérie et la libération des ports des l'emprise des espagnole avec l'aide des tribu arabe et zouaoua, l'Algérie c'est rallier au tant bayler bey kheiredine aux automans en 1520 ce qui l'a amené a devenir une puissance navale a l'ouest de la mer méditerranéenne.

L'Algérie et le Maroc était composes de différente classe social ,ceux qui vivaient en ville et ceux qui vivaient dans les compagne, toute leur ressources découlaient du commerce des produits de première nécessite et des invention dans le domaine scientifique, les relations politiques entre les deux pays était conflictuelle au temps essaadi et Alaoui et base sur des relations d'interet, surtout ceux relatif au commerce et échange de produit via les port d'Algérie et de Maroc ainsi que les villes telle que Tlemcen et Fès.

Les relations entre les deux pays étaient parfaite grâce aux similitudes des traditions et les liens ethniques, alors que de cote culturelle et scientifique, les oulémas des deux pays en bases leur travaille sur l'échange, l'éducation et la d'effusion des sciences islamique.

ahmed cherbiti